

## الفصل السادس عشر أفلاطون والأكاديمية

المحيط السياسي :

كان بدء القرن الجديد (الرابع) مضطرباً، إذ انتهت الحروب البيلوبونيسية عام 404 بتسليم أثينا، وانتصرت إسبرطة، ولكنها لم تستطع أن تحكم بلاد اليونان بغير أن تضع في كثير من المدن حاميات، وتستمد العون في الأوليجاركيات وتستعين «بالمعاونين» معها من فرق محلية قوية قليلة العدد، وكانت أثينا قد ذلت وشقت عليها أن تحتل سيادة الإسبرطيين، لا في أتيكا وحدها بل في كل مكان بها.

وفي غضون ذلك تغيرت الظروف الاقتصادية تغيراً شديداً وعميقاً على نحو ما تغيرت الظروف السياسية، فالزراع في أتيكا أصابها التلف إبان الحروب، وكان الفلاحون القلائل هم أول ضحايا هذا الدمار، وظهرت طبقة جديدة من كبار ملاك الأرض وأصحاب المصانع والمصارف. ولتقف لحظة عند واحد من هؤلاء هو: پاسيون Pasion الذي كان عبداً يقوم على خدمة أصحاب المصارف، ثم أعتقه هؤلاء جزاء غيرته وإخلاصه، فأخذ يقوم بأعمال مصرفية لحسابه، وأنشأ مع هذا مصنعاً لصنع الدروع، وأصبح أوفر أهل عصره ثراء، وتقديراً لخدماته الجليلة لأثينا منح شرف المواطن الأثيني.

ولما قضى پاسيون عام 370، اقترن بأرملته عتيقه فورميون «Phormion» ونهض بالإشراف على أعماله ورعاية ابنه أبولودورس «Apollodoros» وباسيكليس «Pasicles»، وقد بدد أولهما شطراً كبيراً من ميراثه. وتوافرت

لدينا بيانات واقية عن پاسيون—تناول أعماله وتشمل أسرته—زودتنا بها الدعاوى القضائية التي أقحموا فيها ، وأمدتنا بها الخطب التي خلفها لنا « ايزوكراتيس » Isocrates و « ديموستينيس » Demosthenes . وحياة پاسيون تشبه حياة عصامي ثرى-وافر الثراء في أيامنا هذه ، وهي حياة تلقى ضوءاً على الرأسمالية التي كانت تنمو وتتضخم في أثينا ، بينما كانت حكومة المدينة وغيرها من بلاد اليونان تتعرض للفساد وتسدّ هدف للاضمحلال .

وكان من بين الآثار التي تخلفت عن الحروب الطويلة ظهور مجموعة كبيرة نسبياً— من الجنود المدربين انصرفوا عن الفنون والصناعات التي تنشأ في ظل السلام ، ولم يعد في الإمكان ردهم في يسر إلى حياة الأمن الوادعة . وقد تحول الكثير منهم إلى جنود مرتزقة مستعدة للاشتراك في الحروب التي تثيرها الشعوب الأخرى ، في مصر وآسيا الصغرى وإيران . وسرى بعد فريفاً من هؤلاء الجنود ترك في وادي الدجلة . واضطر إلى أن يعاني المشقة في سبيل عودته إلى بلاده تحت قيادة « كسينوفون » .

وقد نمت كراهية الناس للإسبرطيين وامتدت في وقت أقصر من ذلك الذي نمت فيه كراهيتهم للأثينيين من قبل ، ولم تدم سيادتهم إلا نيفاً وثلاثين عاماً (من عام ٤٠٤ إلى ٣٧١ ق.م.) وتجمع العداء العام وعبأه الطيبيون تحت قيادة « إبيامينونداس » Epaminondas أبرع معاصريه في تنظيم الجيوش ، ومن أنبل أهل زمانه . وهو الذي أنشأ ( في عام ٣٧٠ ) حلف « أركاديا » Arcadia ليقا تل به أهل إسبرطة . وقد غزا بلاد المورة أربع مرات ، ومات في معركته المظفرة الأخيرة في « مانتينيا » Mantinea ( في أركاديا ) عام ٣٦٢ . وأبت إسبرطة ، برغم هزيمتها ، أن تستسلم لشروط السلام . وتلت هذا قلاقل كثيرة ، ولكن استقلال اليونان أوشك أن ينهار ، وسقطت المدن اليونانية في قبضة قوة مقدونيا وكانت قد أخذت تنمو وتتضخم .

هذا هو مجمل الحالة مقصوراً على الحقائق الرئيسة ، مع إغفال كثير من الحروب التافهة التي أثّرت ، والدسائس السياسية التي حيكت ، والمعاهدات

التي عقدت ونقضت ، وأعمال البطولة التي نهض بها شجعان من الناس ،  
والجرائم التي اقترفها أهل الجشع والخبث والخيانة . أن سدى الحياة السياسية  
ولحمها في بلاد اليونان كانت معقدة إلى حد أن وصفها وصفاً جليلاً واضحاً  
يتطلب إفاضة يضيق عنها هذا الإجمال ، لأن على الباحث الذي يريد ذلك  
أن يشرح القلاقل التي وقعت داخل كل مدينة ، وأن يعرض لما طرأ على  
العلاقات المتبادلة بينها من تغيرات لا حد لها ، على أن الذي يعنينا هو أن  
النسيج السياسي كان مفككاً ممزقاً بحيث لا يقبل علاجاً ولا يحتمل إصلاحاً .  
ومع هذا فإن الحياة الروحية مضت في طريقها قدماً ، وإن كان في وسع  
المرء أن يكشف فيها عن أعراض المرض ، إذ ازدهرت الأسرار الخفية الغامضة  
ولا سيما أسرار « إيلويسيس » Eleusis \* وكادت « الأورفية » Orphism تصبح  
الدين القوي في البلاد ، ولقيت الآلهة الدخيلة المحبوبة من مصر وآسيا  
من الترحيب أكثر مما لقيت في أي عصر آخر ، ومع الجهود التي بذلتها  
إبزوكراتيس الأثيني ( ٤٣٦ - ٣٣٨ ) لم يتيسر تحقيق الوحدة القومية ،  
ولم يوحد بين اليونان إلا تسليمهم بالخرافات !

#### سكوباس Scopas وبراكستيليس Praxiteles :

أعقبت مدرسة هذين المثالين مدرسة النحت القديمة في أتيكا ، وهي التي  
كان يمثلها « فدياس » Pheidias ، وكانت تتصف بالاتزان والضببط ،  
وكشفت أعمال « سكوباس » و « براكستيليس » عن نزعة فردية وحساسية  
وانفعالية أوضح مما بدا في مدرسة فدياس ، واستمر نشاط « سكوباس »  
المنتسب إلى ( جزيرة ) باروس من عام ٣٩٤ إلى عام ٣٥١ على أقل تقدير  
( وقد كاد هذا يستغرق عصر أفلاطون كله ) . وكان من بين آثاره الأخيرة

\* مدينة في أتيكا تقع على بعد عشرة أميال من شمال أثينا الغربي ، وأسرارها المشار إليها يراد بها  
صور سرية من العبادات تتضمن معتقدات وثنية مضمون بها على غير أهلها ، ولعلها تتصل بالحياة  
الأخرى ، وينسحب هذا على الديانة الأورفية المشار إليها في النص عقب هذا مباشرة .

( المترجم )

طنف ضريح أقيم في هاليكارناسوس Halicarnassos .

أما « براكستيليس » الأثيني فهو من جيل أحدث ، لأنه ولد حول عام ٣٩٠ في الوقت الذي أتم فيه « سكوباس » زخرفة معبد تيجيا في أركاديا ، وعلى قدر ما تسمح بالحكم عليه آثاره المؤرخة ، نستطيع أن نقول إنه نبغ حوالي منتصف القرن الرابع (من عام ٣٥٦ إلى عام ٣٤٦) وكان فنه بالغ الجمال ، فتمثاله عن « أفروديتي » Aphrodite (في جزيرة كنيديوس Cnidus) وهو تصوير مثالي كامل لجسم فرابن<sup>(١)</sup> Phryne قد أصبح رمزاً للجمال الكامل ، ومع هذا فإن أروع آثاره تبدو في الإله هرمس الذي يعبد في « أولمبيا » . وحسبنا أن نشير موجزين إلى هذه الآثار الخلية ليدرك الإنسان أن خلق الجمال لا يتنافى مع قيام القوضى السياسية .

ولعل في وسعنا الآن أن نقدم أفلاطون في هذا المحيط من الاضطراب والذعر والجمال ، فنحن لا نستطيع أن نفهمه فهماً جيداً إلا إذا رأيناه في وسط هذا المحيط .

### حياة أفلاطون :

ولد أفلاطون في أثينا عام ٤٢٨ وأبوه « أريستون » Ariston وأمه « بريكتوني » Prictione من أسرتين أرستقراطيتين . وكان أفلاطون على الدوام عميق الشعور بمحتده النبيل . وقد تلقى من التعليم الراقى ما يستطيع أن يتلقاه ابن أثيني من الأثرياء . ولما بلغ حوالي العشرين من عمره التقى بسقراط وأصبح من تلامذته مدة ثمانية أعوام ، وقد لجأ مع طائفة من تلاميذ سقراط إلى ميجارا لما قتل أستاذهم (عام ٣٩٩) - وتقع ميجارا في منتصف المسافة بين أثينا وكورنثة - وكان أحد هؤلاء التلاميذ أفليدس Euclid الذي أنشأ مدرسة الميجارين<sup>(٢)</sup> ، ولكن أفلاطون لم يبق في ميجارا طويلاً ، إذ أخذ يتنقل خلال الاثني عشر عاماً التالية من عام ٣٩٨ إلى عام ٣٨٦ - على نطاق واسع في بلاد اليونان ومصر وإيطاليا وصقلية ، وفي عام ٣٨٧ رحب به في سيراكوز الطاغية

« ديونيسيوس » Dionysios ( حول ٤٣٠ - ٣٦٧ ) وكان يدعى أنه أوتى ذوقاً أدبياً ويزعم أنه فيلسوف . وقد أصبح أفلاطون إبان إقامته في سيراكوز على صداقة ومودة مع ديون Dion من أهل سيراكوز و « أرخيتاس » Archytas من أهل تارنت<sup>(٣)</sup> ، وعند عودته وقع أسيراً في قبضة القرصان واتخذوه رقيقاً ، ثم افتدى وأطلق سراحه ، ولكنه شرع بعد هذا بقليل - وكان قد بلغ الأربعين من عمره - في مزاوله التعليم في « الأكاديمية » ، بيد أنه تغيب عن الأكاديمية فترتين قصيرتين زار أثناءهما سيراكوز بين عامي ٣٦٧ و ٣٦١ ؛ ثم أنفق بقية حياته - وهي النصف الثاني منها - في الأكاديمية ، وقضى في أثنائها عام ٣٤٧ في سن الحادية والثمانين .

الأكاديمية ( ٣٨٧ ق . م . - ٥٢٩ م ) :

حين أتم أفلاطون سنه تجواله شعر في نفسه بهاتف يدعوه إلى مزاوله مهنة التعليم ، ولكنه لم يرأن يسير على طريقة سقراط ، بل شعر بافتقاره إلى مدرسة تقام في مكان معين ، ولم يشأ أن يقوم بالتدريس في الشوارع والأسواق ( كما فعل سقراط ) وأراد - على عكس هذا - أن يباشر التدريس في مكان منزول بعيد عن الضجيج الصاحب ، فاختر قطعة من الأرض تقع على نهر كيفيسوس Cephissos وهو على بعد ستة إستادات Stadia من « ديبيلون » ، وهو باب أثينا الغربي<sup>(٤)</sup> . وكان يملك الأرض في الأصل البطل أكاديموس Academos<sup>(٥)</sup> . ومن أجل هذا سميت المدرسة بالأكاديمية ، وبسبب هذا الحادث الطارئ - وهو استخدام أفلاطون لأرض أكاديموس - أدخلت كلمة « الأكاديمية » في جميع اللغات الأوروبية تقريباً ، ومصير هذه الكلمة يصلح أن يكون موضوعاً طيباً لدراسة سيمانطيقية Semantic تتناول مدلولات الألفاظ<sup>(٦)</sup> .

أحسن أفلاطون اختيار هذا المكان ، إذ كان الناس ينظرون إليه قبل اختياره بزمان طويل على أنه مكان مقدس ، وقد قام « هيبارخوس » Hipparchos

نصير الآداب - الذى اغتيل عام ٥١٤ ، والأبن الأصغر لپيزيستراتوس « Pisistratos - بإنشاء سور حوله ، وكان مهدي إلى أثينا ، يضم غابة من أشجار الزيتون يقدم الزيت المستخرج منها للظافرين فى الألعاب الپانائينية Panathenaian وفى أثناء مهرجان الاحتفالات الكبرى التى كانت تنظم من أجل ديونيسيوس . ثم جىء بتمثال ديونيسيوس اليوثيريوس Dionysos Eleutherios فى موكب رائع ، وكان المبنى يشمل حديقة وغابة وحلبة للمصارعة. وقام بزخرفته الجندى السياسى الأثينى المعروف كيمون Cimon (حول ٥١٢-٤٤٩) واستخدمه أفلاطون مكاناً لالتقاء تلاميذه التقاء منتظماً، وامتلك أرضاً تجاوره . وفى وسعنا أن ننصور أن المبنى فى عهده كان يشمل بعض المنشآت ، وهى على سبيل المثال معبد أو متحف (معبد لربيات الوحى الفنى) وربما وجدت به قاعات مخصصة للمعلمين والتلاميذ ، وردهاة للاجتماعات وإلقاء المحاضرات وتناول الطعام مجتمعين ولو فى المناسبات الرسمية وحدها ، ومن الممكن - فى ضوء ما نعرفه عن جوأثينا - أن ننصور أن كثيراً من الدروس كان يلقى فى الغابة أو فى رواق يتيسر فيه اتقاء حرارة الشمس مع الاستمتاع بالهواء الطلق .

ولسنا نعرف عن التعليم نفسه أكثر مما نعرف عن المعهد من ناحيته المادية ، إلا ما يمكن أن نستقيه من كتابات أفلاطون وأتباعه وخلفائهم ، وفى وسعنا أن نقول إن منهج الحوار السقراطى كان شائع الاستعمال إبان ذلك ، ولا سيما فى بدء عهد الأكاديمية ، وأن المحاضرات كانت فى ذلك الوقت أقل شيوعاً من المناقشات ، وأنها كانت على نمط قريب الشبه بما نسميه بقاعات البحث فى جماعاتنا الحاضرة . وأن كل شىء كان يجرى عفواً من غير تكلف ، وعلى النحو الذى تهدي إليه الخبرة والتجربة ، وأن موطن الإغراء والجازبية كان فى شخصية أفلاطون نفسه ، إذ أقبل عليه الطلاب من أقاصى الأطراف وأدانها ، كما كانوا يقبلون من قبل على سقراط وغيره من المعلمين الذين ذاع صيتهم بين الناس . ولكن تلامذة أفلاطون وفدوا لأول مرة إلى مكان محدد . ولئن

كان أفلاطون نفسه مثار إغرائهم ، فلإنهم اختلفوا إلى الأكاديمية كما يختلف اليوم الطلاب إلى الجامعة .

ولم تكن الأكاديمية كمدرسة، أمراً بدعماً؛ بل وجدت مدارس قبل قيامها بقرون عدة، لا في اليونان وحدها بل في بابل ومصر وكريت، وأينما وجدت حكومة مست الحاجة إلى تدريب كتبة يقومون بأداء أعمالها، وأنى وجدت كنيسة بدت ضرورة تمرين كهنة وخدام ينهضون بخدمتها ، ومتى وجدت دور أعمال تجارية ومصارف اقتضى الأمر تدريب من يقومون بحساباتها، إنما جدة الأكاديمية في نوع التعليم الذى كانت تزود به روادها. وقد كان أفلاطون يواصل فيها التقاليد التى جرى عليها السوفسطائية واتبعها سقراط . فكان لا يعنيه تعليم القراءة والكتابة وعلم الحساب ، بل كان أقل عناية بتعليم الطرق التى ينتهجها رجال الأعمال . إذ كان هدفه أسمى من هذا بكثير. لقد كان يريد أن يتقن طلابه . ويزودهم بحب المعرفة والحكمة ليجعل منهم فلاسفة ، بل لعله كان يقصد إلى جعلهم رجال سياسة . إنه لم يقيم بتعليم أى معرفة خاصة ، باستثناء المنطق والرياضيات . ولكنه كان يقوم بتعليم أصول المعرفة والتربية والأخلاق والسياسة . إن الأكاديمية لم تكن مدرسة أنشأتها الحكومة لتسد حاجاتها الإدارية . بل كانت مدرسة عليا - مستقلة عن الحكومة - لتدريس الفلسفة والسياسة ، وكانت فى العادة غير معادية للحكومة . وفى وسعنا أن نعتبر الأكاديمية أول معهد للتعليم العالى . وكانت معهداً خاصاً لا يفتح أبوابه لجميع الناس (٧) .

ولم يختلف إليها الطلاب - وهم من مختلف الأعمار - لكي يحصلوا على درجات أو إجازات علمية تعطيهم الحق فى وظيفة، فكانوا لا يجتازون امتحاناً ولا ينالون عن طريقها جاهاً من أى نوع كان، اللهم إلا ما كانت تنطوى عليه روح الخير عند معلمهم وفى مدرسيهم. كان هذا هو أحسن مظاهر الأكاديمية. ولم يكن للمعلمين والتلاميذ من غرض يهدفون إليه من وراء دراساتهم، كانوا يتصرفون بالنزاهة التى يمكن أن تتوافر للعلماء، وكان مثلهم الأعلى هو ذلك المثال الفيثاجورى القديم القائل : « إن التماس المعرفة هو أعظم ألوان التطهير » .

ولكننا سنرى بعد قليل أن أفلاطون لم يبق وفيما مخلصاً لهذا المثال ، وأن إغراء السياسة قد انتهى به إلى أن يخون عهد أستاذه سقراط .

الأكاديمية بعد أفلاطون ( ٣٤٧ ق. م. - ٥٢٩ م ) :

لعلنا نكون أقدر على تقدير معهد أفلاطون إذا نحن صرفنا النظر لحظة عن موضوعنا الرئيسي ، وأخذنا في تلخيص تاريخ الأكاديمية . عقب موت أفلاطون ( عام ٣٤٧ ق. م. ) بقليل ، خلفه ابن أخته «سپيسيپوس» Speusippos الذي أتم تنظيم المدرسة ، وتلاه خلفاؤه « كسينوكراتيس » Xenocrates من أهل خلقدونية رئيس الأكاديمية أو مديرها من عام ٣٣٩ إلى عام ٣١٥ . ورأسها من أثينا « بوليمون » Polemon الأثيني من عام ٣١٥ و « كراتيس » Crates منذ حوالي عام ٢٧٠ ، وبرتاسة كراتيس انتهت الأكاديمية القديمة ، وكانت شهرتها لا ترجع إلى رؤسائها الخمسة المذكورين آنفاً فحسب ، بل إلى التلاميذ أو المدرسين المساعدين من أمثال فيليب من أهل أوبوس Opus « ويوديكسوس Eudoxos الكيندي وهيراكليديس من أهل البحر الأسود ، وكرانتور Crantor من سولي ( في قليقية ) ، وسنجد مجال القول عن الثلاثة الأول ذا سعة ، وحسبنا الآن أن نصف آخر من ذكرنا في إيجاز :

درس « كراتور » على يد كسينوكراتيس وبوليمون ، وكان أول من وضع شروحاتاً لمؤلفات أفلاطون ، ومن أشهر آثاره ما وضعه عن الحزن ( Peri tu penthus ) وقد فقد ، وإن بقيت منه شذرات في كتاب شيشرون Cicero : المحاورات التسكلانية Tusculan disputations وكتابه السلوة Consolation وهما الكتابان اللذان كتبهما شيشرون من وحى تأثره بفقدان ابنته توليا Tullia<sup>(٨)</sup> .

واصلت الأكاديمية مهمتها بعد « كراتيس » وإن اصطبغت بطابع شكى مختلف عن طابعها الأصلي ، وكان هذا وهي تحت رئاسة أركليساوس Arcelisaos البيتاني Pitane ( في أبوليا Aeolis حوالي ٣١٥ - ٢٤١ ) وهو

الذى يعتبر فى بعض الأحيان منشئ الأكاديمية الثانية أو الوسطى . وقد خلفه « كارنياديس » Carneades التورينى ( ٢١٣ - ١٢٩ ) وهو الذى قوى الاتجاه الشكى ونماه ، وسمى بمؤسس الأكاديمية الثالثة . وقد أرسله الأثينيون سفيراً لهم فى روما حيث لقي نجاحاً ملحوظاً أثار ذعراً قريب « كاتو » Cato ( فى النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد ) فوجه إليه اتهاماً ودفع مجلس الشيوخ إلى طرده .

وقد نشأت أكاديمية رابعة على يد فيلون Philon من أهل لاريسا وكان يميل إلى المذهب الرواقى . وأخيراً بدأت أكاديمية خامسة على يد « أنتيوخوس » Antiochos العسقلانى وقد مات عام ٦٨ ق.م. وكان قد حاول أن يوفق بين تعاليم أفلاطون وأرسطو والرواقية . وتسمى الأكاديمية الخامسة عادة « بالأكاديمية الجديدة » .

زار فيلون وأنتيوخوس روما ، واستمع شيشرون إلى أولهما عام ٨٨ ق.م. وإلى ثانيهما بعد ذلك بعشر سنين ، وبفضل كارنياديس وفيلون وأنتيوخوس ، وصلت تعاليم الأكاديمية إلى العالم الرومانى ، وإلى شيشرون ( فى النصف الأول من القرن الأول ) و فارو Varro ( فى النصف الثانى من القرن الأول ) ، وقد كان هذان من الشراح البارزين لهذه التعاليم .

وفى أثناء الحصار الذى ضربه سلا Sulla على أثينا ( عام ٨٦ ق . م . ) احتاج سلا إلى خشب فقطع أشجار الأكاديمية ، وقيل إن الأكاديمية انتقلت عند ذلك إلى داخل المدينة ، وبقيت هناك حتى النهاية . ولو صح هذا ما اختفى موقعها فى المدينة ، لكن أحداً لم يشر إلى هذا الموقع ، ولهذا تعين علينا أن نفترض أن الأكاديمية بقيت حيث كانت ، مع الدمار الذى أحدثه لها جيش سلا أما تاريخها بعد ذلك فغامض كل الغموض حتى القرن الخامس ، حين تهيأت لها شهرة جديدة باعتبارها مركزاً لتعاليم الأفلاطونية الحديثة ، ولا سيما عند « بروكلوس » Proclus ( فى النصف الثانى من القرن الخامس ) ، أما رؤساؤها السبعة الأواخر فقد كانوا : بلوتارك Plutarchos الأثينى أو

« بلوتارك الكبير » الذي مات عام ٤٣١ بعد أن أدركته السن العالية ؛ وسريانوس Syrianos الإسكندري ( في النصف الأول من القرن الخامس ) والمتوفى عام ٤٥٠ و « دومنيونوس » Domnionos من أهل لاريسا ( في النصف الثاني من القرن الخامس ) و « پروكلوس » Proclos الذي مات عام ٤٨٥ ، ومارينوس Marinus من أهل « سيشن » ( في النصف الثاني من ذلك القرن ) و « إيزيدوروس الميليقي » وهو أحد مهندسي هيجيا سوفيا Hagia Sophia حوالي ٥٣٢ ، و « دماسكيوس » Damascios الدمشقي ( في النصف الأول من القرن السادس ) وكان رئيساً للأكاديمية من حوالي عام ٥١٠ إلى عام ٥٢٩ عندما أغلق جستنيان Justinian الأكاديمية لأنها مدرسة للتعليم الوثني المنحرف .

أغلق جستنيان أبواب الأكاديمية، ولكنه لم يقتل معلمها، وقد لاذ بعضهم بيبلاط ملك فارس كسرى أنوشروان Chosroes Nushirwan ( العادل الذي حكم من ٥٣١-٥٧٩ ) ولعلمهم نزلوا بمجنديسابور Jundishapur بخوزستان حيث أنشأ كسرى مدرسة مشهورة للطب ، ولهذا أهميته البالغة ، لأن المنفيين - فلاسفة كانوا أو أطباء - حملوا معهم بذور العلم والحكمة اليونانية التي كان مقدراً لها أن تنمو بعد بضعة قرون من الزمان في رعاية المسلمين لقد أغلق جستنيان بابا ، وفتح كسرى باباً آخر ، وهكذا واصل العلم مسيره من أثينا إلى بغداد .

ومن أعظم الفلاسفة الذين رحب بهم « كسرى » « سمپليكيوس » Simplicios من أهل قليقية ( في النصف الأول من القرن السادس ) وبرسكيانوس Priscianos من أهل ليديا ( في النصف الأول من ذلك القرن ) وهو الذي قيل عنه إنه كان يمثل الأكاديمية في المنفى ، أي الأكاديمية الأثينية في بلاد إيران . وما لا يخلو من دلالة أن الأكاديميين التسعة السالفي الذكر ، وهم رؤساء الأكاديمية السبعة الأواخر والمنفيين السابقان ، لم يكن فيهم غير اثنين من بلاد اليونان ، ( وهما بلوتارك ودومنيونوس ) وكان السبعة الآخرون مصريين أو اسيويين<sup>(٩)</sup> .

عاشت الأكاديمية قرونًا عدة ، فعندما أغلق جستنيان أبوابها ، كان يمكن أن تحتفل بعيدها السادس عشر بعد التسعمائة ، وما أظن أن في الإمكان تبرير موقف جستنيان من إغلاقها تبريراً مقبولاً ، إذ ليس لدينا دليل على أن استمرار وجودها كان متعذراً . إن دور التعليم ليست كأفراد الناس ، من حيث إن في الإمكان معرفة أعمارهم في أى وقت من حياتهم بطرح تاريخ ميلادهم من التاريخ الحالى (وقت إجراء هذه العملية) ، لأن دور التعليم يمكن أن تتوقف وأن تختفى أعواماً طويلة أو قرونًا عدة ، ثم تعود إلى الظهور مرة ثانية . وقد أدرك الأكاديمية في غضون الزمن تغير ملحوظ . والأكاديمية القديمة وحدها هى التى يمكن اعتبارها أكاديمية أفلاطون ، وقد عاشت قرنًا ونصف قرن أو أقل من ذلك ، وعندئذ يمكن القول بأن كل معهد عرضة للتغير الذى يصاحب تقلبات الزمن ، وبمقدار طول حياته يتوقع الإنسان، لا محالة استهدافه للتغير . وإذا نحن ذكرنا هذه المعلومات أمكننا أن نجعلها فى قولنا : إن أكاديمية أثينا ، وهى الأكاديمية التى أنشأها أفلاطون ، استمرت قائمة أكثر من تسعة قرون من الزمان .

### تأثيرات شرقية :

لم نستطع مقاومة الإغراء الذى دفعنا إلى رواية تلك التقلبات التى أصابت الأكاديمية ، مع أن هذا قد أبعدهنا عن موضوعنا المباشر . إنه تاريخ تلقيح الشرق بالهيلينية ، ذلك التلقيح الذى بدأ بالإسكندر بعد أفلاطون بجيل من الزمان ، واستمر قائماً يتعرض للمد والجزر ألف عام ، وبلغ ذروته عندما أغلق جستنيان أبواب الأكاديمية . وكان الغرض الذى يهدف إليه جستنيان هو حماية المسيحية من عدوان الوثنية . ولكن النتيجة الخطيرة التى توالت عن إغلاق الأكاديمية هى أنه شجع الشعوب الشرقية التى آل أمرها إلى أن أضحت تحت القيادة الإسلامية ، أقوى المعارضين للحضارة المسيحية .

ويصبح هذا التاريخ أكثر إثارة للدهشة حين يذكر الإنسان — ومن واجبه

أن يذكر - الوجه المقابل لذلك ، ونعني به صبغ اليونان بطابع شرقي . فإن نشأة الحضارة اليونانية وتطورها قد استهدفا لتأثيرات من الشرق ، نشأت الحكمة اليونانية في مهد شرق ، وفي إبان نموها كانت تعمل فيها مؤثرات أجنبية عنها سواء من أنصارها وخصومها . وربما كانت الفصول السالفة قد هيأت القارئ لتقبل ذلك ، تلك الفصول التي عالجت الحضارة السابقة على العصر الهيليني ، أو التي عرضت للمصادر الشرقية التي أخذ عنها « فيثاجورس » واستقى منها « ديموكريتوس » Dimocritos .

ومن الواضح أن أفلاطون استهدف بدوره لتأثير الشرق ، ولكن هذا التأثير كان سطحياً ولم يكن متصلاً . بل ليس في وسعنا أن نميز بين ما استعاره مباشرة من الشرق ، وما تسرب إليه دون قصد عن طريق فيثاجورس وأرخيتاس وديموكريتوس أو عن طريق تلميذه : يودكسوس وفيليب الأوبوسي .

كان أفلاطون أكثر ميلاً إلى الأجانب من تلميذه أرسطو وإن كان أقل من هيرودوت ميلاً إليهم . لقد وفد إلى مصر وزار آثارها العجيبة ، وألمّ بعلمها وعقيدتها وشعائرها الدينية وآدابها ، وعرف أن الحضارة المصرية أقدم من حضارة اليونان ، ويوضح هذا بجلاء محاوره « تيمائوس » Timaios<sup>(١١)</sup> في حديث دار بين سولون Solon<sup>(١٢)</sup> وكاهن مصري أدركته السن العالية ، قال كاهن صا الحجر Sais : « ياسولون ، أنتم معشر اليونان لاتزالون أبد الدهر أطفالاً : لا وجود لشيخ يوناني » . فلما سمع سولون هذا قال : « ماذا تعني بقولك هذا ؟ » فأجاب الكاهن : « إن روح كل منكم روح شابة ، إذ ليس في قلوبكم معتقد واحد قديم أو مستمد من تقليد قديم ، بل ليس لديكم علم واحد عريق في القدم » . بهذا عامل الكاهن المسنّ ضيفه اليوناني اللامع بنفس الطريقة التي يعامل بها المضيفون الأوروبيين زوارهم من الأمريكيين ، ثم أخذ يشرح له في لطف ودعة ما يتحلى به المجتمع المصري من مزايا جميلة ، ويفسر له تشعب المجتمع المصري إلى طوائف ونحو ذلك . فدهش سولون ، وكان أفلاطون أكثر منه دهشة .

لم يكن لأفلاطون خبرة مباشرة بالعراق Mesopotamia ، ولكنه أشار إلى قوانين الآشوريين (إمبراطورية نينوى) ومن المحتمل جدا أن يكون التنجيم عنده من أصل كلداني. أما عن بلاد إيران عدوة شعبه القديمة ، فما من يوناني متعلم إلا وكان يعرف عنها شيئاً . وكان أفلاطون—متأثراً بديموكريتوس ويودكسوس يعرف عنها أكثر مما يعرف جمهور المتعلمين . اطلع على ما كتبه عنها كتسياس Ctesias وهيرودوت ، بل لعله اطلع على ما كتبه غيرهما من المؤرخين . وقد سرّه كثيراً ما كشفوا عنه بكتاباتهم ، وبدت له أوتوقراطية إيران ونظامها أسمى من ديمقراطية أثينا وفوضاها . وترجع أسطورة « Er » البامفيلية في « الجمهورية » إلى أصل كلداني إيراني (١٢) .

إن أسطورة ولادة الأرض للناس\* تعتبر في النص (١٣) نوعاً من القصص الفينيقى Phoinicicon ti وربما كانت كذلك ، شأنها في ذلك شأن رواية كادموس Cadmos وغيرها .

أما الآراء المثوية وهي المثل الكامنة في محاورات أفلاطون الأخيرة ، فلها مستقاة من الديانة الإيرانية ، وإن تعين التسليم بأن استقاءها على هذا النحو جاء برفق وعن طريق غير مباشر . ولم يرد ذكر اسم زرادشت Zoroaster في مؤلفات أفلاطون سوى مرة واحدة (١٤) .

ومن التواتر أن أفلاطون حين كان شيخاً هرمًا تلقى زيارة ضيف كلداني ، إلا أنه أصيب بحمى ، فاستدعى زماراً من تراقيا ليرفه عنه ، ولكنه مات بعد قليل . ويقول آخرون إن كثيرين من المحوس حضروا وفاة الأستاذ ، ولما تبينوا أنه قد مات في يوم لأبولواو Apollo مقدس ، وأنه عاش لإحدى وثمانين سنة ،

\* هذه الأسطورة مستمدة من أصل فينيقي . وموجزها أن الناس عاشوا في باطن الأرض ، ثم أُلقت بهم هذه الأم إلى سطحها . إنهم جميعاً إخوة ، ولكن الله حين خلقهم وضع في طبيعة بعضهم ذهباً ليكون من الحكام ، وفي طبيعة البعض الآخر فضة ليكون من المساعدين ، وفي طبيعة غيرهم حديداً ونحاساً ليكون من الزراع والعمال . وتتسلسل الأجيال بعضها عن بعض ، فالأولاد مفروض فيهم أن يثقلوا آباءهم ، ولكن من الممكن أن يلد الذهب فضة والفضة أو الحديد ذهباً . . . انظر الفترتين ٤١٤ و ٤١٥ لـ ٣ من ترجمة Lindsay ١٩٥٠ ص ٩٩ وما بعدها - ( المترجم ) .

انتهوا إلى أنه كان لا محالة بطلا (أى كان أسمى من الإنسان) وقدموا لذكراه  
قرباناً .

وتوجد وجوه شبه كثيرة بين الفلسفة الأفلاطونية من ناحية، وفلسفة السامكيا  
Samkhya وفيداننا Vedanta الهندية من ناحية أخرى ، ولكن ليس ثمة دليل  
على أن أفلاطون قد تأثر بمؤثرات هندية .

راجع رتشارد رتزنشتاين Richard Reitzenstein و « ه . ه . شيدر »  
H. H. Schaeder في كتابهما Studien zum antiken Synkretismus aus Iran  
und Griechenland ( ٣٣٥ صفحة — دراسات مكتبة فاربورج Warburg  
٧ : لينزج ١٩٢٦ ) : وراجع كذلك : جوزيف بيديه Joseph Bidez  
و فرانتز كومونت Franz Cumont في كتابهما : Les mages hellénisés  
( جزء١ ، باريس ١٩٣٨ ، Les Belles Lettres ) ( مجلة إيزيس Isis مجلد  
٣١ ص ٤٥٨ — ٤٦٢ ) ( ١٩٣٩ — ١٩٤٠ ) وراجع كذلك بيديه Bidez  
في كتابه : Eos ou Platon et l'Orient 256 pp. بروكسل  
( راجع مجلة إيزيس مجلد ٣٧ ص ١٨٥ ) ( عام ١٩٤٧ ) : وانظر أيضاً ؛  
سيمون بترمنت Simon Pétrement في كتابه : ( Le dualisme chez Platon , )  
( les Gnostiques et les Manichéens (354 pp.; Paris: Presses Univerversitaires  
de France, 1947).

وراجع كذلك فرانتز كومونت ، Franz Cumont في كتابه :

Lux perpetua (558 pp.; Paris: Geuthner, 1949)

وانظر مجلة إيزيس مجلد ٤١ ص ٣٧١ ( عام ١٩٥٠ ) .

نظرية المثل (١٥) :

ليس في نيتنا أن نتعرض لفلسفة أفلاطون في إسهاب ، ولكن علينا أن نناقش  
نظرية المثل التي تعتبر جوهر هذه الفلسفة ، والتي تهيمن على تفكيره في كل  
موضوع يعرض له .

إن الموجودات التي نراها بأعيننا ليست إلا مجرد مظاهر ، أشبه ما تكون بالظلال أو الأشباح في الكهف<sup>(١٦)</sup> . وإذا كانت هناك معرفة حقيقية على الإطلاق وجب أن تكون هناك موجودات موجودة وجوداً حقيقياً . هذه الموجودات هي « المثل » Ideas أو « الصور »<sup>(١٧)</sup> Forms وكل نوع من هذه الموجودات أو الأشياء يقابله مثال هو مصدره وعلته . مثال ذلك الخيل يبدو كل منها مختلفاً عن الآخر وناقصاً مهما بدا جيداً ، إنها مهما ظهرت في صورة كاملة فهي فيما نرى لا بد أن يعترها الضعف وينتابها الزوال عاجلاً أو آجلاً . فمثال الفرس ، أو بعبارة أخرى الفرس المثالي كامل وخالد أزلي . وهذا الفرس المثالي لا يمكن أن تتناوله رؤيتنا أو يدركه لمسنا . ولكن بينما نلاحظ أن الأفراس التي تدرك بالحواس تتعرض للفناء وليس لها وجود في ذاتها - شأنها شأن الظلال ( الأشباح ) - نجد أن الفرس المثالي موجود وجوداً حقيقياً . إنه النموذج الأصيل للأفراس الممكنة ، المولود منها وغير المولود على السواء .

وتساعدنا هذه النظرية على تصنيف جميع الموجودات من ناحية وجودها الحقيقي ، بدلا من النظر إليها من ناحية مظاهرها الفانية وحدها . إنها تعيننا على فهم قانون التغير والفساد (العدم) الذي يبدو عاماً ، وتزودنا بمبادئ جديدة في مجال التفكير والسلوك . فالعالم المحسوس يستهدف للبلى ويتعرض للفناء ، أما المثل فإنها باعتبارها مفارقة للمادة لا تقبل الفساد ، وهي فوق ما نسميه بالعمر أو الأجل المحدود . إن عالم المثل عالم حقيقي ودائم ، وليس المثل حقيقة الشيء وجوهره فحسب ، بل هو حده\* واسمه ، ومن ثم تزودنا المثل في نفس الوقت بأدوات المعرفة وعناصرها الصحيحة . إن المثل ليست مجرد أخيلة وأوهام ، بل هي موجودات حية وأبدية ، إنها صور ونماذج لمصادر المحسوسات ، وهي في نفس الوقت تشبه الأسماء السحرية (الرمزية) .

إن المثل تقبل التصنيف في يسر ، وتحتل وضع أحدها فوق الآخر ،

\* بالمعنى المنطقي ويراد به التعريف ، والتعريف الكامل ( بالحد ) يكون بالجنس ( الصفة الذاتية الموجودة في المعرف مع غيره من أنواع ) والفصل ( الصفة الذاتية التي تخص المعرف وحده ) .

فالمثال الأعلى هو مثال الخير الذى يشبه الله كل الشبه .

ونحن نعرف الموجودات المحسوسة معرفة ظنية . أما المعرفة الحقيقية فلا يتسنى إقامتها إلا على أساس المثل المفارقة للمادة ، ومن هنا كان هدف العلم التثبيت من هذه المثل وفهمها ومعرفتها ، ويكون الفيلسوف الحق هو الذى يكون فى مقدوره أن يدرك هذه المثل التى تقوم وراء المظاهر المتغيرة الخادعة ، وهو يجد جزاءه الأوفى فى مشاهدة ( تأمل ) أصنى المثل وأسمائها ، فلتنصت إلى ما تقوله الحكيمة ديوتيا Diotima وهى من «مانتينايا» : Mantinea « إن حياة كهذه الحياة يا عزيزى سقراط ، حياة تنفق فى مشاهدة الجميل ( أى تأمله عقلياً ) هى حياة يخلق بالبشر أن يعيشوها ، هى حياة إذا قدر لك أن تحياها وجدت أنها أسمى بكثير من الذهب ، وأعظم قيمة من الأثواب الجميلة ، بل أعزّ من الأشخاص المحبوبين<sup>(١٨)</sup> الذين تشاهدهم ( تتأملهم ) أنت وكثيرون غيرك فى دهشة ، مستعدين للإمساك عن الطعام والشراب عسى أن يتسنى لكم أن تتطلعوا إليهم وتشاهدوهم وأن تعيشوا إلى الأبد مع هؤلاء الذين يكونون موضوع حبكم . إذن فما الذى نتخيل أنه مظهر الجمال الأسمى نفسه ، ذلك الجمال البسيط الصافى غير المدنس باختلاطه بالجدس ، غير المصطبغ بالألوان وسائر الأشكال العرضية التافهة التى يعربها الفناء . ذلك الجميل القدسى الأصيل الأسمى الأوحده نفسه . . ؟ وماذا ينتظر أن تكون عليه حياة ذلك الذى يعيش معه ويشاهده ويتأمله ، ذلك الذى يصبح فى نظرنا كل شيء ننشده ونبتغيه . . ؟ ألا ترى أنه وحده الذى يمتاز بأن تبدو فيه الفضيلة نفسها ( لا ظلال الفضيلة وأشباحها ) ، لأنه ليس على اتصال بالظلال . وإنما هو متصل بالحقيقة ، وبالفضيلة نفسها ، تلك التى بمباشرتها لها وعمله على ترقيتها يغدو حبیباً إلى الله ، لاسياً وهذا الامتياز إذا وهب لإنسان كان هذا الإنسان مخلدأ<sup>(١٩)</sup> . »

إن الإنسان متى عرف الفضيلة معرفة حقيقية ، أى متى عرف بحق مثال

الفضيلة ، كان رجلا فاضلا ، إذ ما من إنسان يتوصل إلى مثل هذه المعرفة الخالصة ويكون في وسعه أن يقدم في يسر على إثبات الشر<sup>(٢١)</sup> .

ومن أجمل محاورات أفلاطون محاورة فيدون Phaidon المشار إليها منذ حين ، وقد أخذنا عنها وصف أفلاطون المثير لموت سقراط . والغرض الذي تهدف إليه هذه المحاورة هو أن الفيلسوف يسعد بالموت ، ومثال النفس يتضمن خلودها ، وتسلم المناقشة في هذه المحاورة إلى نتيجة خلاصتها أن المثل هي العلة الوحيدة لجميع الموجودات ، وهي موضوعات المعرفة الوحيدة ، ونظرية المثل تعيننا على أن نبرهن على خلود النفس ، والعكس بالعكس .

والفكرتان اللتان تقولان بوجود موجودات تتوسط المثل (أو الصور) والأشياء المحسوسة ، وأن المثل أعداد ، هاتان الفكرتان اللتان يعزوهما أرسطو في كتابه « ما بعد الطبيعة »<sup>(٢٢)</sup> إلى أفلاطون ، لا توجدان في محاوراته . ومع هذا فإن نسبتها إلى أفلاطون يحتمل أن تكون صحيحة ، لأننا نستطيع أن نفترض أن تعاليم أفلاطون التي تلقاها عنه أرسطو مباشرة ، لا توجد بأكملها في كتاباته ، فالمدرس الممتاز يزود تلامذته بمعلومات أكثر بكثير مما يستطيع أن يدونه في كتاباته بأية طريقة ممكنة .

ونظرية المثل هي مصدر الواقعية المنطقية ، كما أنها مصدر مشكلة الكليات التي ما كاد يقول بها بويتيوس Boetius ( في النصف الأول من القرن السادس ) ويعيد وضعها القديس أنسيلم St. Anselm ( في النصف الثاني من القرن التاسع ) حتى هيمنت على تفكير المفكرين في العصر الوسيط . وقد أبان عن النظرية المضادة لنظرية الكليات ، ونعني بها نظرية الاسميين (universalia post rem) معاصر القديس أنسيلم وهو « روسيلين » Roscelin من أهل « كومبين » Compeigne ( في النصف الثاني من القرن التاسع ) ولكنها لم تنجح إلا بعد أن أعاد بعثها « وليام أوكام » William Occam ( في النصف الأول من القرن الرابع عشر )<sup>(٢٣)</sup> ، وقد سحرت وجهة النظر الأفلاطونية

الشعراء والميتافيزيقيين ، أولئك الذين توهموا أنها جعلت المعرفة الإلهية ميسورة ، وهي لسوء الحظ قد جعلت المعرفة العلمية المتصلة بالواقع مستحيلة ! أما طريقة أفلاطون التي تسير من الكلي إلى الجزئي . ومن المجرد إلى المحسوس ، فهي طريقة حدسية سريعة وعقيمة ، وهي عقيمة لأنها لا تصلح للتطبيق العملي ، أو فنقل - مستخدمين طريقتنا الحديثة في الاصطلاحات العلمية - إنها لا تفيد في حياتنا العملية *ncf operational* (٢٣) ، إن الخير المجرد ليس خيراً . وليس في وسع الإنسان أن يمتطي صهوة مثال للفرس : أما الطريقة المضادة وهي الاسمية *via moderna* التي تسير من الجزئيات المعروفة إلى الأفكار المجردة ماضية في تعميمها ، فهي طريقة بطيئة ولكنها منتجة غير عقيمة . إنها تمهد الطريق رويداً رويداً إلى قيام العلم الحديث . وعلى الرغم مما كشف عنه العلم من ثمر وقوة تتجاوزان التصديق . لم تمت الفلسفة الأفلاطونية وإن تموت أبداً . فسيوجد على الدوام ميتافيزيقيون تعوزهم الأناة في البحث فيلتمسون الإجابات الكلية العامة السريعة حلالاً لما يعترضهم من إشكالات . وسيوجد على الدوام ( ولنأمل في تحقق هذا ) شعراء يؤثرون الأحلام على الحقائق .

ومن الغريب حقاً أن هؤلاء الميتافيزيقيين والشعراء كثيراً ما يسمون بالواقعيين ! وربما كانت تسميتهم بالمثاليين (٢٤) أقل مدعاة للبس والإبهام . ومع ذلك فإن هذا يسلم إلى سوء فهم جديد ، لأن هناك كثيرين من السذج الذين يعتقدون أن المثاليين يحتكرون المثل لأنهم يؤثرون المثل العليا على الحقائق ، ويحاولون أن يفسروا الأخيرة تفسيراً مثالياً ، وبهذا المعنى كان أفلاطون النموذج الذي احتذوه . أما رجال العلم فلهم مثلهم الخاصة بهم . ولكنهم لا يجعلون الحقائق أقل قيمة من هذه المثل . إن مثلهم تصدر عن الحقائق ، وحدودها هي هذه الحقائق التي يرجو الإنسان أن يفسرها بحيث يدنو من الحقيقة ما أمكنه ذلك .

إننا لا نستطيع أن نمجد الناس من أجل مثلهم السلبية التي لا يملكون لها ضبطاً . وإنما نمجد أفكارهم الفعالة وأفعالهم المحسوسة الواضحة ، فإن المثل العليا التي لا مسوغ لها ، لا تقود لغير النفاق والهدر والشك .

ووجوه الشبه بين الفلسفة الأفلاطونية ومختلف صور الحكمة الهندية كثيرة وجلية واضحة . ولكن هذا لا يستتبع القول بأن إحداهما قد استعارت من الأخرى شيئاً محدداً . ويكفي أن نذكر ما كان بين اليونان والشرق من علاقات غير محددة طوال قرون عدة . وأن نذكر وحدة العقل البشري . فإنه متى توافرت أمام الناس مقدمات معينة - كوجود مدركات خاطئة تتعلق بالعالم الحسى ، والحقيقة الكبرى التى تتعلق بالعالم الذى يقوم وراء الحس - تعين الانتهاء من هذه المقدمات إلى نتائج متشابهة .

كتب أفلاطون : مجمل بمؤلفاته .

حسبنا فى هذا المجلد أن نسرده بضع طبعات عامة لكل مؤلفات أفلاطون أو أكثرها .

وأول نشر لها هو الترجمة اللاتينية التى قام بها مارسيلىو فاكينو Marsiglio Facion ( القطع الكبير - فلورنسا ١٤٨٣ - ٨٤ ) . وأول مخطوط يونانى منها عثر عليه نشره «أ. ب. مانوتيوس» A. P. Manutius و «م. ماسوروس» M. Musurus فقامت بطبعه «مطبعة ألدان» Aldine press بعد ذلك بثلاثين عاماً ( البندقية ١٥١٣ ) ( شكل ٨٠ ) وثمة طبعة يونانية لاتينية مع نص لاتينى جديد وضعه ج . سيرانوس J. Serranus قام بنشره هنريكوس ستيفانوس Henricus Stephanus ( هنرى إستين Henri Estienne ) ٣ أجزاء من القطع الكبير . باريس ١٥٨٧ ( شكل ٨١ ) . وهذه الطبعة مهمة كل الأهمية لأن ترقيم صفحاتها أخذ به فى كل طبعة علمية لاحقة ، وخير طريقة تتبع عند الإشارة إلى فقرة من أفلاطون هو أن تذكر عنوان الكتاب وتحدد الجزء والصفحة فى طبعة ستيفانوس (ومتى عرف عنوان الكتاب أمكن الاستغناء عن ذكر رقم الجزء) .

وأحسن طبعة يونانية هى طبعة جون بيرنت John Burnet

( 5 vol. in 6; Oxford: Clarendon Press 1899-1906 ) .

وأول ترجمة فرنسية قام بها أندريه داسييه André Dacier (١٦٥١ - ١٧٢٢) تحت عنوان « مؤلفات أفلاطون » (Les Oeuvres de Platon) في جزئين - باريس ١٦٩٩). وثمة طبعة أخرى تجمع بين الأصل اليوناني والترجمة الفرنسية ، وتقوم بنشرها جمعية جيوم بيديه Guillaume Budé (باريس ١٩٢٠ وما بعدها) .

وأول ترجمة إنجليزية نقلت عن نسخة داسييه الفرنسية (في جزئين - لندن ١٧٠١) وأول ترجمة إنجليزية نقلت عن اليونانية قام بها فلوير سيدنهام Floyer Sydenham و توماس تايلور Thomas Taylor (في خمسة أجزاء من القطع الصغير عام ١٨٠٤) وأشهر طبعة إنجليزية هي طبعة بنيامين جوويت Benjamin Jowett (١٨١٧ - ١٨٩٣) وهو رئيس كلية باليول Balliol (٤ أجزاء - أكسفورد ١٨٧١ ، ٥ أجزاء ١٨٧٥) وثمة طبعات إنجليزية يونانية قامت بها مكتبة لويب القديمة (Loeb Classical Library) ١٩١٤ وما بعدها) .

انظر كذلك : Friedrich Ast, Lexicon platonicum (3 vols.; Leipzig, 1835-1838; anastatic reprint, Berlin, 1908) وفي ترجمة جوويت Jowett في الجزء الخامس فهرس بالإنجليزية . ويشير معجم Ast الكامل لشرح المفردات وفهرس Jowett إلى أرقام الصفحات عند ستيفانوس Stephanus وبهذا يتيسر استخدامها في أي طبعة لكتب أفلاطون تذكر هذه الأرقام .

### ترتيب مؤلفات أفلاطون بحسب تاريخ كتابتها :

تتنوع قائمة مؤلفاته . لأن نسبة بعضها إليه موضع شك ، وتتضمن هذه القائمة دفاع سقراط Apology of Socrates مضافاً إليها نحو خمس وعشرين إلى ثمان وعشرين محاوره ، وثلاث عشرة رسالة (ربما صحت نسبة السابعة منها فقط إلى أفلاطون) .

وثمة مؤلفات لم تثبت نسبتها إليه ، ولكن (وهذا أمر جدير بكل ملاحظة)

ليس من بينها ما فقد ، وهذا يتطوّر على تقدير متصل لمخلفات أفلاطون منذ العصور القديمة .

وقد دارت وستدور مناقشات لا حدّ لها حول تاريخ المؤلفات الأفلاطونية ، ولكن هناك اتفاقاً عاماً في الحملة *grosso modo* على الأسس التالية :

١- المحاورات السقراطية - يوثيفرون Euthyphron و خرميدس Charmides و لانيخس Laches و ليسيس Lysis و كريتون Criton وكذلك الدفاع Apology كانت هذه المحاورات أول ما كتب ، أى انه وضعها عندما كان تحت تأثير سقراط ، وحاول أن يعيد فيها نشر آراء أستاذه في أمانة .

٢- المجموعة الثانية هي المحاورات التعليمية التي تنقد السفسطة ، وهي : بروتاجوراس Protagoras و يوثيديموس Euthydemus و جورجياس Gorgias و فيدروس Phaidros و مينون Menon و سيمبوزيوم Symposium و الجمهورية The Republic و فيدون Phaidon و كراتيلوس Cratylus .

٣- المجموعة الثالثة هي : « بارمنيدس » Parmenides و « فيليبوس Philebos و تآيتيتوس Thcaitetos و السوفسطائي Sophist و السياسي Statesman .

٤- والمجموعة الأخيرة ( وهي مؤلفات الشيخوخة ) : تيمايوس Timaios و القوانين Laws ( وقد كان هذا آخر مؤلفاته وأكثرها إسهاباً ) .

وهذه القائمة ليست مستوفاة ، ولكنها كافية لترتيب مؤلفاته ترتيباً تاريخياً تقريبياً . وقد تفتضينا الحكمة أن نسطها أكثر من ذلك ، وأن نقول إن أفلاطون كتب محاوراته السقراطية في بداية مزاولته التأليف ، ووضع تيمايوس و « القوانين » في النهاية ، وكتب باقي المحاورات بين هذين العهدين .

وما هو خليق بالملاحظة أن جميع مؤلفاته - ما عدا « الدفاع » والرسائل المشكوك في صحة نسبتها إليه - قد وضعت في صورة محاورات ، وهي كما نعلم

أمثل طريقة عبر بها أفلاطون عن آرائه . والمحاورة تعين الكاتب على أن يصور مختلف جوانب الموضوع الذي يدرسه ، بل تساعده على أن يطلق حكمه أو يخفيه عن القارئ على الأقل . ومن أجل هذا نجد في مؤلفات أفلاطون محاورات لا تنتهي إلى نتيجة - مثل بروتاجوراس .

ويبدو سقراط شخصية من شخصيات المآسي في جميع المحاورات ، ما عدا « القوانين » . ويظهر في « بارمنيدس » و « السوفسطائي » . و « السياسي » ، و « تيمايوس » على صورة ثانوية . أما في المحاورات السقراطية الأولى فهو المتكلم الرئيسي ، ونحن نشعر - عند قراءتها - بثقة متزايدة في أننا نصت إلى سقراط الحقيقي . وأما في المحاورات المتأخرة فيراد بنا أن نصت إلى ما سرّ الشراح أن يسموه سقراط « الأفلاطوني » أو « المثالي » . ولكنه يبدو في الغالب مشوهاً ومتقصصاً . ويتوقف الحوار . أو يقطع أحياناً ، بذكر أساطير كأسطورة « أطلنطس » في مطلع « الجمهورية » ، وأسطورة « إر »<sup>٥</sup> في نهايتها ، والأسطورة التي وردت في محاورة « السياسي » . وكثيراً ما يقطع بعرض طويل جداً يقرأ كما تقرأ المحاضرات ، ويكاد ينسى المتكلمون الآخرون . ويعيننا طريق الحوار على أن نرى الدليل من زوايا متعددة ، ويتيح لنا أن نقلبه على مختلف وجوهه ، ولكن هذا قد يكون خداعاً أكثر منه حقيقة . وكثير من المحاورات ، ولا سيما السياسية ، تتسم بطابع جازم ما أمكن ، كاعتراضات المتحاورين إنما يقصد بها توضيح آراء الطرف الآخر . وسيتة أخرى من سيئات هذه الطريقة أنها تفضي إلى التكرار والإطناب ، وتعرض وحدة الموضوع لخطر التفكك .

وأسلوب أفلاطون يمثل كمال النثر الأثيني إبان العصر الذهبي ، عندما كانت

٥. يشير أفلاطون في الفقرات ٦١٤ - ٦٢١ أو أواخر الجمهورية إلى جندي باسل اسمه « إر » قتل في معركة حربية ، وفي اليوم العاشر أخذوا جثث القتلى لإجراء مراسم الدفن ، ولما هموا بدفنه دبت فيه الحياة وأخذ يروي للحاضرين ما رآه في العالم الآخر ، ويحدثهم عن عذاب المسيئين وجزاء المحسنين في دنياهم ، فإذا عقاب السيئة كجزاء الحسنة عشر أمثالها . . . إلخ ( انظر الجمهورية في ترجمة Lindsay طبعة ١٩٥٠ ص ٢١٨ - ٢٢٥ ) .



اللغة اليونانية لا تزال نقية صافية ، فهو أسلوب سهل ، ولكنه أنيق ، فكه حيناً ، وشعري حيناً آخر ، غنى باستعارته ، لين جداً ، مليء بالمفاجآت ، وعلى الرغم من جفاف كثير من موضوعات الحوار ، فإن أفلاطون استطاع في الأغلب أن يستثير دهشة قارئه وأن يفتنه ، يبدو هذا لكل من أوتي القدرة على أن يقرأه في أصله اليوناني ، على أن يكون ملمماً باليونانية إلاماً كافياً .

وينبغي أن نعرف بأن كثيراً من الكلمات التي كتبت في امتداح سحر أسلوب أفلاطون لم تكن مخصصة ، لأن معرفة كاتبها باليونانية ناقصة . ولكي يقدر الإنسان ميزة النص الأدبية ودقة مؤلفه في التفكير والتعبير ، عليه أن يعرف لغته معرفة جيدة جداً ، فيعرف المفردات وقواعد النحو معرفة عميقة بحيث لا يفكر فيها مطلقاً وإنما يتتبع فقط تدفق الأسلوب الحلي ، وانسجام التعبير وسلامة التصوير ، والترابط الأخاذ بين الأفكار والعبارات الدالة عليها . إن الإعجاب بأفلاطون متى صدر عن قوم ليسوا أكفاء لفهمه ، كان نوعاً عجيباً من التحذلق ، ومع هذا يجب ألا نحط من شأن هذا النوع من الضعف ، لأنه أعان على تنمية حب المثل اليونانية العليا ، بل ساعد على أن يظل معلمو اللغة اليونانية أحياء يرزقون إلى اليوم . . . !

السياسة ، الحماية الكبرى (٢٥) :

لا بد أن تعلم أفلاطون في الأكاديمية كان - على قدر ما تمكنتنا من الحكم عليه كتاباته - موقوفاً إلى حد كبير على المسائل السياسية ، أو على السياسة والأخلاق ، وهما مجالان كانا وسيكونان دائماً على اتصال وثيق . فإن المواطن الصالح ، بله السياسي الصالح ، يتعين عليه أن يكون منذ البداية رجلاً خيراً . وليس بين مؤلفات أفلاطون إلا ثلاثة تعالج السياسة بنوع خاص ، ولكنها مجتمعة طويلة جداً . وقد أبان عن مثله العليا السياسية في «الجمهورية» وهو في منتصف عمره ، وبعد هذا عرض في «السياسي» بعض أفكاره السياسية في صورة أنضج ، ووضع في أواخر حياته أوسع كتبه جميعاً وهو كتاب «القوانين» (٢٦) ، وفي كتاب القوانين تكيفت أحلامه السياسية عملياً حتى

ΠΛΑΤΩΝΟΣ  
 ΑΠΑΝΤΑ ΤΑ ΣΩΖΟΜΕΝΑ  
 P L A T O N I S  
 opera quæ extant omnia.

EX NOVA IOANNIS SERRANI INTERPRETATIONE, PERPETUIS EIUſDĒ MORIS ILLUSTRATA: QUIBUS & METHODUS & DOCTRINÆ SUMMA BREVIUS & PERSPICUE INDICANTUR.

EIUSDĒM ANNOTATIONES IN QUOSDAM SUI ILLIUS INTERPRETATIONIS LOCOS.

HENR. STEPHANI DE QUORUNDAM LOCORUM INTERPRETATIONE IUDICIUM, & MULTORUM CONTEXTUS GRÆCI CENſATIO.



EXCVDEBAT HENR. STEPHANVS,  
 CVM PRIVILEGIO CÆS. MAIEST.

شكل ٨١

هذه الصفحة من الطبعة اللاتينية اليونانية لطبوعة أفلاطون نشرها هنري اتيان Henri Estienne ٣ أجزاء (folio; paris. 1578) وترقيم صفحات هذه الطبعة يتكرر في كل طبعة علمية ، وأفضل طريقة تتبع عند الإشارة إلى نص أفلاطون هي أن تذكر الصفحة الواردة في طبعة ستيفانوس Stephanus (من النسخة الموجودة في مكتبة كلية هارفارد) .

تاريخ العلم — ثالث

تلائم الضعف الإنساني ، وهو يحوى مادة غزيرة تنظم كل مرفق من مرافق الحياة العامة أو الخاصة ، ومن هنا كان لهذا الكتاب تأثير ملحوظ في التشريع الهيلينى والرومانى . وقد وضعت مسودات قوانين كثيرة وسنت قبل أفلاطون ، ولكن من العسير الاهتمام إلى فلسفة قانونية سابقة عليه ، ومن أجل هذا نستطيع أن نسميه مؤسس فقه القانون .

وعلىنا - لكي نفهم تأملات أفلاطون - أن نذكر الظروف السياسية التى نما فى محيطها عقله . كان ابن الحرب البيلوبونيزية ، ولم يشهد الهزيمة الساحقة التى نزلت بأثينا وحدها ، بل شهد اضمحلال الديمقراطية كذلك . ورأى إبان سنى شبابه الحساسة جرائم ارتكبها الدهماء أولاً ، ثم اقرفها الأرستقراطيون بعد ذلك . وكان قد بلغ الرابعة والعشرين من عمره حين باشر الحكم الثلاثون طاغية ( ٤٠٤ - ٤٠٣ ) أولئك الذين بلغت مظالمهم حدًا تغتفر إلى جانبه أسوأ الأفعال التى أتتها الديمقراطية . ثم مضت الأمور بعد هذا من سيء إلى أسوأ . فى عام ٣٩٩ صدر حكم الإعدام على أستاذه سقراط ، واضطر هو إلى مغادرة المدينة . وكان ذا ثراء وعلى اتصال ببعض حكام الأوليجركية وكانت الفوضى السياسية تؤله لإيلاماً شديداً ، كما كانت إدانة أصدقائه وإعدام أستاذه المبجل فوق ما تحتمل طاقته . ولم تكن أثينا فى أيامه سارة إلى حد يثير تأملاته . وكانت إسبرطة وكريت تبدوان فى نظره - وهو على غير اتصال بهما - أفضل منها . وعندما كان يكتب « الجمهورية » كانت أوهامه قد انقشعت بالفعل غشاوتها عن عينيه ، وأخذ يهرب من الحقيقة ويلوذ بالأحلام المثالية . وكان اليأس من الأحوال السياسية هو القوة التى حفزته إلى ذلك . ونحن نعرف من خبرتنا مدى تأثير هذه القوة ، فإن الأهواء السياسية فى أغلب حالاتها عميقة ومرة قارصة حتى نملأ قلب الإنسان ضيقاً ملحاً وبغضاً شديداً ، وتدفعه إلى ارتكاب أفعال شائنة . وقد رأى أفلاطون الشر والفوضى التى تضرب أطنابها حوله . وعانى هو نفسه مرارة القنوط والحياة . وكانت الأمور تزداد سوءاً . وفى وسعنا أن نتصور أن الأكاديمية - التى لا يمكن أن يختلف إليها إلا الذين يجدون فى حياتهم فراغاً - كانت مهد تدمر وتبرم . وكان مؤلف

التوانين رجلاً طاعناً في السن محققاً متدمراً تملؤه الضغينة . يخاف الجماهير ويغضها . ويخشى فوق كل شيء زعماءهم ويكرههم . وقد تبلورت أحكامه المبسرة وأضحى فيلسوفاً مسناً مولعاً بالنظر المجرد حتى لتعجزه نزعة النظرية عن أن يرى شيئاً وراء الخواطر التي تصدر عن شخصيته ، أو أن يسمع شيئاً وراء الأصداة التي تتخلف عن أفكاره . وأسوأ ما في الأمر أنه—وهو النبيل الأثني— قد أعجبه الإسبرطيون الذين سحقتوا وطنه وأذلوه . لقد كان أفلاطون يرى ثورة اجتماعية — كما نراها نحن — ولم يستطع قط احتمالها . وكان أهم ما يعنيه هو : كيف يتسنى وقف تيارها ؟

ومن الصعب علينا أن نفهم إعجابه بإسبرطة . لأن في مقدورنا أن نقارن بين أثينا وإسبرطة مع ما يفصلنا عنهما من بعد يجعل حكمتنا بطبيعة الحال نزيهاً وموضوعياً . فإذا سألتنا أنفسنا عما قدمه كل منهما إلى العالم كان الجواب قاطعاً جازماً أن فضل أثينا علينا اعظيم جداً، وأما فضل إسبرطة فن الممكن إسقاطه من حسابنا . وهذا الحكم لم يكن واضحاً في نظر أفلاطون وضوحه في نظرنا الآن . فأهل أثينا كانوا يعانون مساوئ الحرب وفوضاها، ويقاسون مرارة الهزيمة الحربية وسوء الإدارة والحكم . وليس علينا — ونحن نصدر حكمتنا السالف — أن نتأثر بهذا العبء الفادح ، وفي وسعنا أن نحصر تفكيرنا في تراث أثينا الأدبي والعلمي ، وفي تفاهة إسبرطة من الناحية الروحية . إن هذا الأثني العظيم ليدكرنا في امتداحه لفضائل إسبرطة ، بالأمريكيين الساخطين — وهم ليسوا عظماء بأي معنى من المعاني — أولئك الذين يعنون في كراهية حكومتهم حتى ليجعلهم هذا على استعداد للإعجاب بالفاشيست والنازية<sup>(٢٧)</sup> . ولكن اللغز لا يزال قائماً، لأن أفلاطون كان فيلسوفاً ، أما هؤلاء الأمريكيون فليسوا بفلاسفة ، وإن كان الهوى السياسي قد يجعل من خيرة الناس وصفوتهم حمقى وبلها .

على أن جنون الفيلسوف عرضة لأن يصطبغ بلون فلسفي خاص . وقد رأينا

أن تصور أفلاطون للعالم تهيمن عليه نظرية المثال . فالعالم المرئي المتغير ليس إلا نسخة هزيلة من العالم غير المتغير الذى لا يرى . وقد امتدت هذه النظرية بطبيعة الحال إلى الأحداث السياسية التى كشفت فى فظاعة عن الفساد والاضمحلال أكثر مما كشفت عنه الأحداث الأخرى . لقد كانت السياسة الأثينية خليطاً من الاضطراب المقيت الغريب . فابتدع أفلاطون مدينة فاضلة utopia سياسية ولاذ بها . وقد قيل إن المفروض فى جمهوريته باعتبارها « يوتوبيا » (٢٨) أن تصف مدينة مثالية ، وهى بحكم تعريفه لها مدينة كاملة لايعتبرها تغير . والمدينة الإلهية من شأنها ألا تكون عرضة للفساد المطرد . وإن الإنسان ليعجب كيف تسنى لأفلاطون أن يبتدع مثل هذه المدينة الإلهية وأن يجعل المفارق للمادة مرثياً ملموساً . . . ؟ كيف بلغ به الغرور إلى حد أن يعتبر المدينة التى ولدت فى ذهنه هى نفس المدينة الإلهية ، وأن يظن - مع هذا - أن فى الإمكان التسليم بها كنموذج للكمال النهائى من غير أن يتناولها نقد . . . ؟

ومهما يكن من شىء فقد كان التعبير والفساد فى تصور أفلاطون متعادلين . ومثل هذا يمكن أن يوصف به رجل محافظ . ولكن التعادل بالنسبة لأفلاطون كان ميرهنأ عليه بنظرية المثال ، وهل يبقى مجال للشك فى دليل ميتافيزيقي قاطع كهذا ؟ وما هو أجدر بالملاحظة أن أفلاطون كان - فيما يبدو - يعتقد أن فى الإمكان أن تقام دولة كاملة مثالية ، وأن مثل هذه الدولة يمكن أن تكون حية وأن يدوم وجودها . وأن التغير السياسى يمكن أن يتوقف . وربما حاول أفلاطون كذلك أن يوقف دوران الأفلاك الساوية . . . !

ولنتأمل دولته المثالية بدقة أكثر من ذلك . إن الجمهورية التى أنشأها كنموذج مثالى صغير . صغيرة صغر أثينا أو أكثر . فكيف يتسنى لها أن تعزل نفسها عن العالم لتتفادى سواته . . . ؟

وسكان هذه الجمهورية مقسمون إلى ثلاث طبقات : الحكام والجنود أو الحراس ، وباقي الشعب . وهذا الباقي كان يمثل على أقل تقدير ثمانين فى

المائة من مجموع السكان . وليس من الواضح في نظري أكان هذا الباقي يشمل العبيد أولاً يشملهم<sup>(٢٩)</sup> ، والطبقات الثلاث طبقات طبيعية وليست صناعية . إنها في الجمهورية تقارن بالنفوس الثلاث التي بها يحيا جسم الإنسان . وهي الناطقة والغضبية والشهوانية<sup>(٣٠)</sup> ، فالحكام عقل الدولة ، لأن الطبقات الدنيا لا تسيروها إلا شهوات فجعة ، بل لعل الأصح أن نقول إن المواطنين في جمهورية أفلاطون كانوا مقسمين إلى طبقتين اثنتين هما : طبقة الحكام ومساعدتهم من ناحية ، وطبقة المحكومين من ناحية أخرى ، إذ الواقع أن الفرق بين الطبقتين الأوليين (الحكام والجنود) ليس كبيراً . ومن السهل إغفاله . فن ذلك أن المساعدين كلما تقدموا في السن قلت صلاحيتهم للجنودية وزادت صلاحيتهم لمباشرة التأمل العقلي . وقد يرتفعون في هذا إلى القمة . إلا أن بين الحكام والشعب هوة يستحيل عبورها . فلا يفصل بين الطائفتين فارق مؤقت من ناحية الطبقة أو المهنة . بل يقوم بينهما فارق دائم من ناحية الجنس الذي انحدروا عنه أو الطائفة التي ينتمون إليها (والمقارنة بين تصنيف أفلاطون للطبقات وتصنيف الطوائف الهندية صحيحة في جوهرها . ولكن هذه المقارنة لا تستلزم أن نفترض أن أفلاطون كان على علم بوجود هذه الطوائف الهندية)<sup>(٣١)</sup>

وفي محاوره «السياسي» يشبه حكام الدولة بالرعاة ، وهذه المقارنة وما يشبهها تتردد كثيراً في آثار أفلاطون، فالحكام رعاة والحراس هم الكلاب، والشعب هو القطيع . وفن حكم الناس لا يختلف بالضرورة، عن فن حكم الماشية وتربيتها .

وقد يقول الحكام «الدولة نحن» ، إنهم الدولة بحق . ولهذا فإن طبقهم كهيئة لا يمكن أن يسوسها أحد سواها ، وعن طريق حكمها تعرف ما هو خير لغيرها ، أي للسواد الأعظم من السكان .

ولضمان ضبط النفس في هذه الأوليغاركية الوراثة ، وكفالة ولائها التام للدولة - أي لنفسها - يتعين حمايتها من العوامل التي تؤدي إلى الشقاق

والفساد ، وأهمها الجشع المالى والشرافة الجنسية . ولهذا اضطرت الصفوة ، الحراس . فى الجمهورية إلى قبول الشيوعية . والشيوعية بينهم ليست شيوعية مالكية فحسب . بل تشمل شيوعية الزوجات والأطفال . وهذا لا يعنى العهر ( الفجور ) أو فوضى العلاقة بين الرجال والنساء ، بل معناه ألا يختص رجل بامرأة بعينها ( مدى الحياة ) وكل المواطنين من الطبقة العليا إخوة . والأطفال شيوع وأسرهم الدولة .

وفى عصر ذهبي ابتدعت فيه أشياء كثيرة مدهشة لم ينشئها المهندسون المعماريون والمثاليون وحدهم ، بل شاركهم فى إنشائها الصناع . لم يكن للصناع فى نظر أفلاطون شأن يذكر . فالعمال - من أى نوع كانوا - من الدهماء ( أفراد القطيع ) وهم بحكم تعريفه لم يهتم منحة التفكير تريد أن تملأ بطونها ، لها رغبات وليس لها مثل عليا .

ومن الغريب أن أفلاطون قد أدرك أن الرغبات والشهوات - كحب الأسرة وحب المال - عامل من عوامل الانحلال ، ولكنه لم يفتن إلى أن الشهوات الأخرى يمكن أن تكون خطيرة بدورها . ومن بين الشهوات الإنسانية الرئيسة حب النفوذ أو السلطان . وليس حب المال إلا مظهرًا من مظاهره . فالتناس لا يحبون المال إلا من أجل السلطان الذى يهيئه المال لهم . وكان أفلاطون يخاف الملكية خوفاً شديداً ، ولا سيما ملكية المال ، ملكية الذهب والفضة . ولكن : هل إذا بطلت قيمة المال ، أى إذا فقد المال قوته الشرائية ، اختفى الجشع . . ؟ طبعاً لا ، فجشعهم وكيف نفسه طبقاً للظروف الجديدة . إن الطمع فى السلطان لا يمكن استئصاله من نفوس البشر ، وحتى حين تهيات السلطة للصفوة ( الحراس ) وكانوا سادة الجماهير بصورة قاطعة ، أمكن مع هذه السيادة أن توجد بينهم - وكانت موجودة حتماً - وجوه نزاع قائم حول السلطان . ولا بد أن أفلاطون قد رأى شواهد عدة تدل على صحة العبارة التى كثيراً ما تعزى إلى اللورد أكتون ؛ « السلطة تفسد ، والسلطة المطلقة تفسد قطعاً » . ومع هذا ليس ثمة دليل على أنه توصل إلى هذه النتيجة .

وقد قارن بعضهم بين رفض أفلاطون للملكية والأسرة في سبيل تقوية الصفوة . وبين الفاقة والعفة اللتين فرضتا على الأكليروس الكاثوليكي ونظم الرهبنة . ولكن المقارنة باطلة من وجوه كثيرة . ومن الحق أن نقول إن الزهد الأكليريكي ليس مسألة نظام وضبط للنفس فحسب . بل هو أيضاً وسيلة للابتعاد عن العلمانيين . وأداة لمراقبة ذلك مراقبة دقيقة . ومع هذا فإن الغرض الذى يهدف إليه ديني خالص وأخوياً محض . إنه لا يختلط ولا يصح الخلط بينه وبين أى رغبة تهدف إلى ضبط سياسى أو اقتصادى ، ورجال الأكليروس والرهبان ليسوا حكام الدولة بل هم خدامها .

ومن الضرورى أن نؤكد أن الشيوعية المتكاملة عند أفلاطون كانت مقصورة على الطبقات العليا وحدها . أما الطبقات الدنيا فإنها لا تفتقر في نظره إلى مزاوله الأخلاق العالية . ولهذا كان من حقها أن تنغمس في شهواتها ما طاب لها ذلك . بشرط أن يلتزم أفرادها الهدوء والطاعة وأن تكون آراؤهم طيبة (٣٢) .

ولا يمكن فهم شيوعية أفلاطون إلا إذا لاحظنا أنها رد فعل أرستقراطى لرأسمالية عصره المتضخمة . لقد كان يشق على الأرستقراطيين القدامى أن ينازعهم ويأخذ مكانهم الأثرياء المحدثون الذين كثيراً ما كانوا من أهل العادات الوضيعة والطبقات المنحذاة . بل حتى من العبيد (٣٣) .

إنه ليشق كثيراً على أى فرد من الصفوة أن يشعر بأن طارئاً يطرده من طبقته ويخرجه من زمرته . فإذا كان المال يستطيع أن يقضى على التمايز الطبيعى بين السادة وغيرهم . فليذهب المال إلى غير رجعة . وأصعب من هذا فهم شيوعية أفلاطون في النساء والأطفال . أى تحطيم روح الأسرة عند صفوة الناس تحطيماً حقيقياً . إن الجمهورية من وضع رجل متعصب محقق متذمر . ومع هذا يصعب الاعتقاد بأنه استطاع المضى في تعصبه وقسوته إلى هذا المدى . إن أفلاطون لم يتزوج أبداً . ولكن له أمماً وأباً وأسرة خاصة ، فهل أساء أبواه معاملته ؟ إن الإنسان لا يملك إلا أن يدهش لذلك . وتعصب الرجل المهذب يصدر في

العادة عن سبب محدد معروف ، وشيوعية أفلاطون في الملكية يمكن تفسيرها بعدم انخداعه بالثراء الفاحش وباشمئزاز منه . أما شيوعية النساء والأطفال عنده فلا يمكن تفسيرها بنفس هذه الطريقة. إنى لا أستطيع تفسيرها أبداً إلا بالانحراف الجنسى .

أوجد رجل سمح في طبيعته لم يقاس في أعماق قلبه من مضرة المال ولعنته . ولم يتمكن لو استطاع أن يستأصله من الوجود . . ؟ أوجد رجل سمح النفس لم يجد في محبة أسرته عزاء وسلوة عن آلامه المبرحة ؟ . . فكيف يتأتى لإنسان أن يقضى في نفس الوقت على أسوأ شروخ الحياة وأعظم نعمها . . ؟ إن هذا هو بالضبط ما فعله أفلاطون ، أو ما حاول أن يفعله ، على أقل تقدير .

#### مشكلة أفلاطون السياسية :

كان من الخير وضع جمهورية مثالية ، ولكن فيلسوفاً ميتافيزيقياً يحترم نفسه - كأفلاطون - كان عليه أن يبرهن على أن مثل هذه الجمهورية يمكن أن توجد بالفعل وأن يستمر وجودها. أتى يجد الإنسان صفوة من الناس تستحق مثل هذا الوضع السامى ولا تسيء استعماله . . ؟ ولما كانت الصفوة قلة (ولنقل إنها خمس السكان أو أقل) فإن من المتعذر عليها أن تحتفظ بامتيازاتها الضخمة إلا متى كانت من القوة والمتعة بحيث تستطيع أن تحميها من عدوان الكثرة الغالبة من الناس .

هذه الصفوة كانت طبيعية ، إنها كانت موجودة بالفعل . وكل ما افتقرت إليه هو أن تجد ما يقويها ويوحد أفرادها . وقد كان أفلاطون أقدم باحث في تحسين النسل<sup>(٣٤)</sup> ، فهو يرى أن على الإنسان أن يبدأ بسلالة كبيرة من الناس ، وأن يأخذ في تربيتهم على نحو ما تربى الماشية ، فإن الأسر التي تكون على رأس الدولة تمثل سلالة يجرى في دمها الشرف والنبل . ولا يملك الإنسان إلا أن يعجب لسذاجة أفلاطون ، فإننا لا نستطيع أن نكون على يقين من أن الرجل الذى

يحسن مولده يكون لا محالة رجلاً صالحاً خيراً . بالغة ما بلغت العلاقة المتبادلة بين المولد الطيب والخلق الكريم ، وقد استطاع أفلاطون نفسه أن يذكر كثيرين من الأرسقراطيين الذين كانوا — مع أرسقراطيتهم — مثاراً للاحتقار والافتقار إلى ثقة الناس .

بل لنفرض أن لدينا مجموعة كبيرة من الناس نريد أن نأخذ في تربيتهم ، إن مشكلة تحسين النسل تتحقق بالمحافظة على نقاء بذورهم ما أمكن . وعلى أفضل الأسر أن تنجب من الأطفال ما يكفي حاجة الدولة ، لا أكثر من ذلك . ومع هذا فإن طيب مولد هؤلاء الأطفال لا يكفي ، بل لابد من أن تراعى في تربيتهم منتهى العناية والدقة . وقد كان أفلاطون مقتنعاً بقيمة التربية في تكوين الأطفال ، إلى حد أن وقف شطراً كبيراً من جمهوريته على التربية ، فالجمهورية تعتبر — إلى حد كبير — بحثاً في التربية السياسية ، وهى التربية التى لا يراد بها الطبقة الحاكمة وحدها .

يجب أن يمتاز حكام المستقبل بالقوة ودماثة الخلق في وقت واحد ، وعلينا أن نذكر هذا الهدف المزدوج دوماً ، وهذا يقابل في التربية الرياضة البدنية والموسيقى . وتتضمن أولاهما كل التمرينات البدنية التى تساعد على تكوين رجال أشداء ومحاربين ممتازين ، أما الثانية فلا تعنى مجرد الموسيقى كما نفهمها ، بل يراد بها الفنون الجميلة *bonae litterae* والإنسانيات بوجه عام (٣٥) . والموسيقى بالنسبة للنفس كالرياضة البدنية بالنسبة للجسم . وكانت منظمة كل التنظيم ، فلا تباح في الجمهورية مزاولة موسيقى الجاز ، بل يسمح فقط — في حالات معينة محددة — بالموسيقى التى تبعث على القوة وتوحى بالفضيلة . وينسحب هذا نفسه على الفنون الجميلة والشعر ، فلا يباح في الجمهورية إلا شيوع نوع معين من الأشعار ، وهو نفسه وهو معلم هيلاس *Hellas* يتعين استبعاده من المدينة (٣٦) ، ولا يزود الشباب بالآداب اليونانية القديمة إلا بعد أن تخضع هذه الآداب للرقابة والتكيف مع مطالب الشيوعيين الصالحين (الحراس) . بل إن الشعر والفن والموسيقى يتحتم أن تكون

مسايرة لمقتضيات السياسة . ويريد أفلاطون «الإلهي» أن يستبعد جميع الآداب اليونانية على وجه التقريب ، وأن يستأصلها من الجمهورية . وأن يحرم كل الأشياء التي تخطر لذهننا إذا تحدثنا عن مجد اليونان ، مع استثناء الرياضيات . ومن هذه الناحية كاد أفلاطون يكون في نفس المستوى الذي كان فيه أمثال توماس باودلر Thomas Bowdler وأدولف هتلر Adolf Hitler من نقاد الأدب والفن العظام !

ومع أن أفلاطون كان منغمساً في السياسة حتى أذنيه ، فإنه وقف القليل من تأملاته على الاقتصاديات ، فرأى أن تترك الأعمال والتجارة للطبقات الدنيا . ولكن كيف يتسنى للطبقات العليا أن تعيش .. ؟ إنهم سيكونون أصحاب الأرض وملاك العبيد . لم لاتقوم الطبقات الدنيا بالأعمال من أجل هؤلاء الأرسقراطيين؟ إن مثل هذه الأمور النافهة لم تكن تستحق أن يقلق من أجلها هؤلاء . يقول أرسطو<sup>(٣٧)</sup> « إن خمسة آلاف محارب » كما ورد في كتاب « القوانين »<sup>(٣٨)</sup> » سيحتاجون إلى إقليم من الأرض في مساحة بابل لكي تتسنى إعالة مثل هذا العدد الضخم من الناس في بطالتهم مع نسايتهم وخدمهم» ، ثم يقول أرسطو «عند وضع مثال أعلى لنا أن نفترض ما يحولنا لكن علينا أن نتجنب المستحيلات» .

كيف تسنى لأفلاطون أن يتصور لحظة من الزمن أن مثل هذه الدولة على النحو الذي تبدو عليه في الجمهورية (أو حتى في صورتها المعتدلة في كتاب القوانين) يمكن أن توجد فعلا؟ إننا سنعود بعد قليل إلى الحديث عن مسألة القيادة ، ولكن في وسعنا الآن أن نلاحظ أننا إذا افترضنا أن الحكام الأول الذين يتولون حكم هذه الجمهورية الغربية كانوا من الحكمة والقدرة بحيث يستطيعون المحافظة على بقائهم . فكيف نطمئن إلى حكمة الذين يخلفونهم في الحكم . ربّ معترض يقول إن الجمهورية مدينة مثالية ، فهي من وحي الخيال ، بيد أننا نتوقع لا محالة من أحلام فيلسوف أن تقوم على نوع من التناسق والمنطق . وقد كان مثال أفلاطون مثال ثبات وعدم تغير ، أما جمهوريته

التي تصورها فقد كانت بالضرورة عرضة للتغير وعدم الثبات .  
 وبمكنا أن نقف هنا لحظة ، ونسأل أنفسنا : من أين استمد أفلاطون إلهامه .  
 إن المصادر الأولى التي ألهمته هذا الموقف كانت كراهيته للسياسة الأثينية  
 واستحسانه لنظم الدوريين Dorian في كريت وإسبرطة . وكان تصوره لنظم إسبرطة  
 في صورة مثالية تصوراً لا يقبل . ومع هذا كان متحمساً له حماسه في  
 معاداة النظم الأثينية . ولم تبق معرفته بالسياسة نظرية خالصة . بل لاحظ أثناء  
 رحلاته وإبان تقلبات حياته السياسية اختلافات لا حصر لها بين المدينة الكاملة  
 التي لم توجد إلا في ذهنه . والمدن الموجودة في العالم فعلاً . وقد صنف الحكم  
 في المدن الموجودة بالفعل إلى ست مجموعات هي :

الموناركية المستبدة ( حكم حاكم فرد مستبد عادل ) . والموناركية الدستورية ،  
 والأوليجركية ( حكم الأغنياء ) والديمقراطية ( حكم الكثرة ) والفوضوية والطفيان .  
 وهذه الصور من الحكم قد تخلف إحداها الأخرى . وأخيراً قد تبدأ الدورة  
 كلها من جديد . وقد جاء هذا بحثاً اجتماعياً رثعاً . يمكن أن يعد أفلاطون من  
 أجله أول عالم اجتماع . وأقدم باحث عرض للدراسة تاريخ الدستور . ويقدم  
 لنا في كتاب القوانين<sup>(٣٩)</sup> تاريخاً لاضمحلال إيران وسقوطها . يعتبر أول  
 تحليل من نوعه . بل لقد جمع مادة غزيرة من المعارف التجريبية حين كان  
 مستشار « ديونيسيوس » Dionysios . ولكن لا بد من أن نعترف بأن تدخله في  
 سياسة سيراكوز كان مجلبة سوء لكل من كان يعينهم ذلك .

لم تكن تنقص أفلاطون إذن الخبرة السياسية ، بل ربما كانت خبرة كافية .  
 ولكنه كان مسرفاً في نزعه النظرية إلى حد عاقه عن الاستفادة من خبراته .  
 وكانت ضغينته السياسية عنيفة مرة ، وأحلامه ، قوية جداً إلى حد أنها تتأثر  
 بالحقائق المتغيرة الزائلة .

والعقيدة الأساسية في السياسة عند أفلاطون ، هي سيادة الدولة سيادة  
 مطلقة . فالدولة وحدها يمكن أن تكون كاملة وأن تكفي نفسها . ولا يكون الأفراد  
 إلا ناقصين . إنهم نسخ ناقصة للدولة . والدولة وحدها يمكن أن تبقى ثابتة غير

متغيرة . أما الأفراد فصيرهم إلى الزوال في تعاقب سريع . ومن هنا وجب أن يخضع الفرد للدولة ، وأن يضحى عند الضرورة في سبيلها . هذه نظرية صالحة في الشيوعية والحكم المطلق .

ولكن كيف يمكن أن تكون الدولة كاملة ما لم تكن من خلق الله ذاته؟ إنها لا بد أن تكون ناقصة إذا كانت من وضع أفلاطون . وكيف يمكن تقريبها إلى الكمال إذا لم يسمح بنقدها والعمل على تغييرها .

العيب الأكبر في الدولة التي تحكم حكماً استبدادياً — إذا قورنت بالدولة الديمقراطية — هو صعوبة وجود نقد مستقل فيها يصدر عن صدق وإخلاص بل استحالة هذا النقد . ومن الممكن أن نلتمس لأفلاطون العذر في عدم إدراكه ذلك في وضوح وقوة كما ندرکه نحن الآن<sup>(٤١)</sup> .

ونود ونحن ننتقل إلى الحديث عن القديس « توماس الأكويني » Thomas Aquinas (في النصف الثاني من القرن الثالث عشر) أن نقدم احتراماً له لأنه كان — في شرحه لكتاب أرسطو في السياسة — أول من قال في قوة بخضوع كل جماعة لأعضائها ، وكل حكومة لرعاياها . وأفلاطون معذور أكثر من هذا إذا نحن ذكرنا الشرور التي اقترفتها الحكومات الاستبدادية المطلقة حتى بعد عصر القديس توماس ، ولم تقترف على نطاق واسع ، ولا يمثل الطريقة الطاغية أو العلمية كما يقولون ، كما تقترف في أيامنا الحاضرة .

#### القيادة :

يبين أفلاطون في وضوح أن ليس يكفي أن توجد طبقة حاكمة . بل يتعين أن يكون لهذه الطبقة رئيس ، قائد مطلق ، وبغير وجود قائد يتولى رياستها لا يتيسر لها البقاء . ومن ثم كانت المشكلة التالية هي : من ذا الذي سيكون القائد . والنتيجة التي توصل إليها أفلاطون إليها هي أن الفلاسفة يجب أن يصبحوا ملوكاً ، أو أن يكون الملوك فلاسفة ، وإلا « فلن تتوقف القلائل في دولنا ، ولا في الجنس البشري فيما أظن<sup>(٤٢)</sup> » . ألم يتعلم أفلاطون شيئاً أثناء وجوده في سيراكوز كيف أمكنه أن يتخيل إمكان هذا الاقتران (بين الملك والفاسفة)؟ أي فيلسوف

— سوى أفلاطون فيما يبدو — هذا الذى يريد أن يصبح ملكاً . وكيف يتسنى للملك أن يجرد نفسه من نزعاته وأعبائه اليومية ليصبح فيلسوفاً . إن وجود مثل هاتين المهنتين المختلفتين فى شخص واحد ، وفى وقد واحد ، ليس أقل من معجزة .

لقد اعتقد أفلاطون أن هذه المشكلة يمكن أن تحل بوضع قوانين ونظم لتربية قادة للمستقبل ، فوقف كثيراً من أجزاء الجمهورية على بيان هذه التربية . وكانت نتيجة هذا إتلافاً واضحاً للتربية نظرياً وعملياً .

ومهما يكن من شيء فإن القائد متى انتخب ، وجبت طاعته فى ثقة كاملة حتى فى أنفه الأمور . يقول أفلاطون :

« تقتضى الغزوات الحربية كثيراً من التبصر وسن القوانين . ورأس هذا كله أن يكون لكل من الجنسين قائد ، وألا يعود عقل أحدهما أن يقدم على فعل مازحاً أو جاداً يباعث من نفسه ، بل يتعين عليه — فى حال الحرب أو السلم — أن يتطلع إلى قائده وأن يتبعه حتى فى أنفه الأمور ، على اعتبار أنه يعمل تحت قيادته . فمن ذلك أنه يستجيب لأمره حين يقف أو يتحرك أو يغتسل أو يتناول وجبات طعامه . أو يسهر ليلاً ليقوم بالحراسة ، أو يتسلم الرسائل متى تلقى بذلك أمراً . ومن واجبه فى ساعة الخطر ألا يتقدم أو يتقهقر إلا بأمر من قائده ، وبالاختصار ألا يعلم نفسه أو يعودها أن تعرف أو تفهم كيف تأتى فعلا وهى مستقلة عن غيرها » (٤٢) .

إن الحكام الذين يحكمون حكماً استبدادياً مطلقاً يستهدفون على الدوام لخطر القمع العنيف ، ولا يستطيعون أن يهتموا من أتباعهم المقربين استقلال التفكير وأصالته . وهم محوطين بالمنافقين والمرائين ، وأوائك بطبعهم من أواسط الناس وجبنائهم . فأين ينتظر أن يوجد خلفاء لهم ؟ هذا إشكالا لا يجد حلا . وأحسن حل عملي له هو الاعتماد على نظام الوراثة ، وتحديد الخلافة بقانون الدولة الآلى . كما حدث فى الموناركيات الاستبدادية المطلقة التى تجددت فيها

الخلافه بقانون إلى . ولكن حتى هذا الحل فيه مغامرة مخيفة .

ليس هناك طريقة مأمونة لاختيار الحاكم ، وإذا لم يكن الحكم وراثياً كان الحاكم عملياً هو الذي يختار نفسه . ويقبض على ناصية الحكم ، ويروّع المعارضة بسحر شخصيته ودفاعه الغلاب عن نفسه .

ومن أحسن ما جاء في الكتاب القيم الذي وضعه « بوبر »<sup>(٤٣)</sup> ذلك الجزء الذي أبان فيه أن أفلاطون حين وضع مشكلة السياسة في صورة مسألة تنذر بالسوء هي : « من هذا الذي سيتولى حكم الدولة » . حين أبان أفلاطون عن هذه المشكلة على هذا الوضع . أوجد في الفلسفة السياسية بلبله مستمرة وحيرة دائمة . ولعل السؤال الفطن الأكثر جدوى هو : « كيف يتسنى لنا أن نقيم نظامنا السياسية بحيث تمنع غير الأكفاء ، والأشرار من الحكم ، من إحداث أخطار جسيمة » .

ويتعين علينا في هذه الحالة — كما يتعين في كل الحالات — أن نرتد إلى التربية . إذ لا يكفي أن تكون النظم أفضل ما يمكن ، بل يتعين حماية هذه النظم وتحسينها . والرجل الصالح الذي نفتقر إليه لا يمكن أن ينشأ إلا في ظل تثقيف ملائم لتحقيق هذا الغرض . وغرض التربية لم يعد الغرض الأفلاطوني المنحرف الذي ينهى بخلق قادة . وإنما أصبح هدفاً أميناً يتمثل في خلق رجال خيرين أفاضل . وبمرور الزمن يصبح أحسن هؤلاء — أو بالأحرى أصلحهم السياسة — حكاماً . ولكن حتى مع هذا يجب أن يكون السلطان مقيداً بزواجر دستورية .

### السياسة والعلوم الرياضية :

سنعرض في الفصل التالي لمناقشة الرياضيات عند أفلاطون . ولكن من الممكن التمهيد لهذه المناقشة ببضع ملاحظات تتصل بالرياضيات تفكيره السياسي . إن الرياضيين الذين يعالجون اليوم المشاكل السياسية يعرضون لها من الناحية الإحصائية أو الاقتصادية . وما كان من الميسور أن يعالجها أفلاطون من هذه

الناحية، إذ لم يكن له أدنى إلمام بالإحصاءات . ولا اهتمام بالمسائل الاقتصادية من أى نوع كان . بل يبدو أنه لم يفتن إلى أن العوامل الاقتصادية قد تؤثر في الحياة الخاصة والعامة . ومع هذا فما كان في وسعه أن يغفل عن القلاقل التي تنشأ في محيط الأسر والشعوب عن المتاعب المالية . لأن مثل هذه المتاعب إذا ظهرت بدت من الوضوح وإثارة الانتباه بحيث لا يتيسر إهمالها . وليت شعري ألم يحدث أن كان على أفلاطون أن يواجه التزامات مالية شخصية أو تخص من يعنيه أمرهم . أو لم يكن لهذه الالتزامات عنده أية دلالة ؟ .

ولم تكن طريقته في معالجة المشاكل السياسية حسابية بالمعنى الذي نفهمه . بل كانت هندسية . فسرّ الكون في نظره نظام وقياس . وقد بسط هذا التصور حتى شمل كل شيء يتصل بتدبير المنزل أو المدينة ، وفعل هذا في غير اعتدال . فكل شيء في المدينة الكاملة يتحتم تنظيمه . ولا يمكن أن يعرف تغير قبل حدوثه . ومن أجل هذا ليس في حياة هذه المدينة فرصة يمكن أن تتمتع . ولا مجال للاختيار . ولا مكان لشيء غريب مخالف لنظام . فالمدينة تقوم بوظيفتها كما تؤدي الآلة الميكانيكية عملها . وهو يعالج في بعض فصول « القوانين » تنظيم الحياة الخاصة بكثير من التفصيل والإسهاب . وقليل جداً من التحفظ . إلى حد أنها تبدو في نظر الرجل الحديث قبيحة تسمى منها النفس .

ويستخدم أفلاطون في جده أحياناً كلمات تشبه أن تكون رموزاً هندسية ، ومن هذه الناحية كان اعتباره أقدم سلف لمنطقة اليوم الرمزيين (أو الرياضيين) .

### لا حرية ولا حق في الجمهورية :

إذا أخذنا في اعتبارنا النمط الرياضى البادى في جمهوريته . ظهر لنا أن ليس للحرية فيها مجال . إن الحرية إنكار للفضيلة . وعلى كل إنسان أن يعرف مكانه وأن يلزمه . وعليه أن يعرف واجبه وأن يقوم بأدائه . وليس في وسع أحد أن يختار مكانه ولا واجبه . بل إن الحاكم نفسه ليس حرّاً، وإن لم

يكن في مقدور أى فرد أن يراقبه ، لأنه هو وحده الذى يراقب نفسه ، وعلى كل امرئ أن يهتم بشئونه الخاصة ، ويتبع هذا النظام الاجتماعى إلى أقصى حد . وفى « القوانين »<sup>(٤٤)</sup> حرم على الشباب أن يتعرضوا لنظم المدينة بنقد وفى وسع الشيخ المحرب أن يفعل ذلك ، على ألا يكون فى حضرته عندما يعلن نقده شاب .

وتيسر على التربية رقابة . فيتعين ألا يجد المواطنون - شباباً وشيباً - فرصة يتسنى لهم فيها أن يقرءوا شيئاً لم تقره الدولة ، ولا أن ينصتوا إلى أحاديث تتنافس مع قوانين المدينة ونظمها . ولا أن يستمعوا إلى موسيقى غير مناسبة .

عندما زار والدو فرانك Waldo Frank موسكو ، تحدث إلى شاب ميكانيكى وقال له : « إن فى نيويورك صحفاً يجد فيها المرء كل صباح صدى لكل ما يمكن أن يصدر من أحكام فى الموضوعات المختلفة »<sup>(٤٥)</sup> فأجابه الشاب بقوله : « إني لا أرى لهذا نفعاً ، فإن لكل مشكلة حلاً صحيحاً . والصحافة - فيما يبدو لى - تؤدى للناس خدمة أفضل من هذا إذا كانوا يجدون فيها كل يوم الرأى السديد فى الموضوعات الهامة . ولا تنشر عليهم غير ذلك . ما قيمة نشر كثير من وجهات النظر المختلفة . بينما نعرف أن وجهة نظر واحدة منها هى وحدها الصحيحة ؟ » . هذا الجواب كان يمكن أن يسر أفلاطون . وإذا سأله سائل عن أى وجهات النظر هو الصحيح ، أجابه فى غير تردد : « هى وجهة نظر الدولة » .

ومن الخير أن أفلاطون لم يكن دكتاتوراً إلا فى أحلامه . ولو كان حاكماً مطلقاً لهُون من دكتاتوريته عجزه من الناحية الفنية . إن ما يسميه الفرنسيون « حشو الدماغ » قد تحقق فى يسر ووضوح عندما قامت الحكومات الحديثة بالسيطرة على الصحافة والتلغراف والتليفون والإذاعة والتليفزيون . ولم تكن هذه الرقابة ميسورة إبان العصور القديمة ، فالرقابة التى يفرضها أفلاطون لم يكن من الميسور ، بالضرورة ، أن تكون كاملة ، فإن شبك رقبائه ومفتشيه تملؤها الثقوب .

وهدم الحرية يتضمن لا محالة القضاء على الحق ، إذ لو أصبح واجب الحاكم ألا يزود المواطنين بغير الأفكار النافعة، وجب أن تغربل هذه الأفكار ، وأن تتدرج وفق مراتبها ، وعندما يلقى إلى الناس شطر من الأنباء فقط ، يكون هذا كذباً ، ولكن أفلاطون لم يقف عند ذلك، « فالأكاذيب المناسبة » و « الأكاذيب النبيلة »<sup>(٤٦)</sup> قد تكون ضرورية ، لا لكى تخدع الشعب فحسب ، بل لكى تخدع الصفوة كذلك ، وليس ثمة شك في هذا ، فإن الحاكم المطلق يتعين عليه أن يكذب ، أو يتعين على معاونيه أن يكذبوا له ( فالنتيجة واحدة في الحالتين ) فكيف تسنى لأفلاطون أن يوفق بين هذه النتيجة ونظرية الملك الفيلسوف ؟ فالفيلسوف يجب الحق ، وإذا كان يتعين على الملك أن يكذب – حتى ولو كان ذلك عرضاً – فكيف يتقبل هذا الفيلسوف الكامن في هذا الملك . إن طلب الحق ومزاولة السلطان المطلق أمران متنافيان تماماً . وكما يقول « بوبر » :

كان لسقراط خليفة جليل واحد، هو صديقه القديم « أنتستينيس » Antisthenes آخر الجليل العظيم . أما أفلاطون أعظم حواريه الموهوبين فسرعان ما أثبت أنه أقلهم أمانة لذهبه ؛ لقد خان عهد سقراط كما فعل أعمامه ، فإن هؤلاء إلى جانب أنهم خانوا سقراط حاولوا أن يوقعوه في أعمالهم الإرهابية، ولكنه قاوم محاولتهم فأخفقوا في تحقيقها . وقد حاول أفلاطون أن يقحم سقراط في محاولته الضخمة التي أراد بها إقامة نظرية المجتمع غير المتحرك، ولم يتعذر عليه النجاح لأن سقراط قد مات .

أنا أعلم بالطبع أن هذا الحكم سيبدو صارماً قاسياً حتى في نظر نقاد أفلاطون ولكننا إذا اعتبرنا محاورتي « الدفاع » و « كريتون » معبرتين عن رغبة سقراط الأخيرة . وقارنا بين هذه الوصايا التي كانت في شيخوخته ، وبين وصية أفلاطون في كتاب « القوانين » ، وجدنا من اليسير أن نصدر حكماً غير الحكم الذي أسلفناه . لقد أعدم سقراط ، تاريخ العلم – ثالث

ولكن موته لم يقصد إليه الذين قدموه إلى المحاكمة . أما « قوانين » أفلاطون فقد تفادت الحاجة إلى هذا القصد، وأعدت في هدوء وعناية نظرية التفتيش ، وأعلنت أن التفكير الحر ، ونقد النظم السياسية ، وتعليم الشباب أفكاراً جديدة ، والقيام بمحاولات لإدخال عادات دينية بل آراء دينية ، كل تلك جرائم تستحق الإعدام. وفي دولة أفلاطون ما كان يمكن أن يمنح سقراط فرصة الدفاع عن نفسه علانية أمام الجماهير ، بل كان ينتظر أن يسلم إلى المجلس الليلي « لعلاج » روحه المريضة ، ثم لإيقاع العقاب بها آخر الأمر<sup>(٤٧)</sup> .

منذ بدأ أفلاطون فكرة الحق المتعالى على الطبيعة المحسوسة ، كما تعبر عنها المثل الأبدية ، هبط تدريجياً إلى مستوى الدعاية ، وأساليب التفتيش ، وإباحة الكذب المفيد . ومن النظرة الأولى تبدو هوة بين الحق المطلق والكذب الصراح . ولكن أفلاطون عبرها دون أن يدرك فيما يظهر احتياله لتحقيق ذلك . قارن بين التواء تفكيره ووجهات نظر العلماء : فنحن نبذل أقصى جهد في الوصول إلى الحق عن طريق خطوات متعاقبة توصلنا إليه رويداً رويداً . ولا ندعى أننا وصلنا ، بل نواصل سيرنا إليه ، ونقترب منه تدريجياً . إننا لا نبدأ بالحق كله ، ولكننا ندركه شيئاً فشيئاً ، وهذا مستحيل بغير حرية . إن الحق ليس — كما ظن أفلاطون — مثالا ابتعدنا عنه . إنه مثال نتقدم نحوه باستمرار . إنه هدف وغاية ومن ثمّ كان ديمقراطية خالصة .

### ديانة أفلاطون :

أقام أفلاطون في دولته المثالية « ديانة تختلف اختلافاً بيناً عن الديانة الشائعة ، ورأى أن يكره المواطنين جميعاً على الاعتقاد في آلهته ، وإلا كان عقابهم الإعدام أو السجن . وكل حرية في المناقشة محرمة تحت النظام الحديدي الذى فكر فيه . ووجه الطرافة في منحاه أنه لم يكثر كثيراً لكون الديانة حقيقية أو غير حقيقية . وإنما اكتفى بالتعويل على أثرها في الناحية الخلقية . لقد كان مستعداً

لترقية الأخلاق بالخرافات ، واحتقر الأساطير الشعبية لا من ناحية زيفها وبطلانها ، بل من ناحية أنها لا تفيد في سبيل الاستقامة (٤٨) .

### افتقار أفلاطون إلى النزعة الإنسانية :

إن المثل الأعلى للكمال المتحجر والشيوعية عند أفلاطون لم تنشأ عنهما كراهية الحرية وحدها ، بل ترتب عليهما مقت النزعة الفردية في كل صورها . وحملته على النزعة الفردية ملتوية ماكرة . وللتعبير عنهما في إيجاز ما أمكن نقول إن النزعة الفردية قد تتعارض مع النزعة الجماعية ، وتتنافى الأناية مع الغيرية (٤٩) ، أما تحليل أفلاطون ولعبه بالألفاظ ( و زجوا أن يكون قد جاء عفواً ) فيبدو في التسوية بين الحدين الأولين والحدين الأخيرين في هذه المقابلات ( أى بين الفردية والأناية ، وبين الجماعية والغيرية ) ، ومن ثم انتهى إلى أن الفردية تتنافى مع الغيرية ، وهذا يحتاج إلى برهان . ويتعين على الإنسان أن يكون في نظره شيوعياً وإلا كان حيواناً أنانياً ! وقد كان اتجاه التقدم السياسى كله منذ عهد القديس توماس حتى أيامنا الحاضرة يقوم على عكس هذا في ربط النزعة الفردية ( حرية الضمير ) بالغيرية .

ولم يرفض أفلاطون النزعة الفردية فحسب ، بل إنه لم يشعر باحترام للشخصية . وقد بدا هذا واضحاً في الفقرة التي اقتبسناها عن كتاب « القوانين » (٥٠) من قبل ، وتشهد به فقرات أخرى كثيرة ، نضيف إليها الفقرة التالية من الكتاب نفسه :

« إن أول وأسمى صورة من صور الدول والحكومات والقوانين هي الصورة التي فيها يسود المثل القديم الذي يقول : [ كل الأشياء تكون بين الأصدقاء على الشيوع ] . وهذه الشيوعية في النساء والأطفال والملكية - سواء أكانت موجودة الآن في أى مكان أو ستكون موجودة يوماً ما - هذه الشيوعية التي تختفى معها فردية الإنسان وخصوصياته وتلاشى ، كذلك الأشياء التي هي بطبيعتها خاصة به كالأعين والآذان والأيدى بحيث تصبح على الشيوع ، فيشترك الناس في النظر والاستماع

والتصرف، بحيث يعبر جميع الناس عن المدح والذم ، ويشعرون جميعاً بالابتهاج والأسف في ظروف واحدة، وبحيث تعمل القوانين على توحيد المدينة إلى أقصى حد ، سواء أكان هذا ممكن التحقيق أم غير ممكن ، فإنني أصرح بأن ليس ثمة إنسان يعمل بمقتضى أى مبدأ غير هذا المبدأ الشيوعي ، يستطيع أن ينشئ دولة مثالية يمكن أن تكون أصدق أو أفضل أو أسرى فضيلة من هذه الدولة الشيوعية»<sup>(٥١)</sup>.

ومما يبدو من المتناقضات أن يعد الكاتب الذى كره النزعة الفردية كداعية من دعاة النزعة الإنسانية . بل ذهب بعض المتحمسين له إلى أبعد من هذا ، فاعتبروه أصلاً انحدرت منه المسيحية مع أنه أخضع الفرد للدولة إخضاعاً كاملاً حتى كادت فلسفته تصبح فلسفة غير إنسانية . ومع هذا فإن خداع النفس عنده كان من العمق بحيث أفضى به إلى تسمية «الجمهورية» العدالة ، وتخصيص جزء كبير منها للبحث فى العدالة المجردة .

ما العدالة ؟ إنها ما يكون فى مصلحة الدولة . فالمدينة عادلة حين تكون الطوائف محددة وغير قابلة للتغير ، وحين يلزم كل فرد مكانه الملائم له ، وحين يقبل جميع الناس طواعية مبدأ الطبقة الحاكمة ، والامتياز الطبقي . والمدينة التى أحسن تنظيمها ، والتى لا تقبل التغير ، هى رمز العدالة الأبدية . وقد اختير تعريف أفلاطون للعدالة لكى يؤيد نظام الحكم الاستبدادى المطلق ، بينما كانت الفكرة الشائعة بين الناس عن معنى العدالة على العكس من هذا التعريف ، ومن ثم فنحن نواصل الدوران فى حلقة مفرغة .

وتوجد أحياناً وجدانات إنسانية فى كتابات أفلاطون ، ولا سيما فى المحاورات السقراطية الأولى . فن ذلك ما نراه فى محاوره كريتون ، عند ما يقول إن احتمال الظلم خير من ارتكابه . ولكنه لم يدرك قط أن فكرة الإنسانية هذه أسرى وأبقى من المدينة المتبلورة فى أحلامه . فلندع الإنسانية تذهب ضحية فى سبيل المدينة ، وإلا فإن المدينة تتداعى وتنهيار .

إنه لم يستطع أن يفهم أن العدالة يتعين ألا تنفصل عن المحبة ، فالحبة بغير

عدالة ضلال وخطر ، والعدالة بغير حجة تفقد ما فيها من معاني الإنسانية ، والعدالة المجردة قريبة من الظلم قريباً ينذر بالخطر .

ونحن لانملك توجيه اللوم إلى أفلاطون لكونه غير مسيحي ، ولكنه خليق بالملامة لأنه ضحى في سبيل معتقداته السياسية بالمثل العليا السمحة التي دان بها بيركليس Pericles وديموقريطوس و سقراط وتلامذة جورجياس الكيداماس Alcidas وليكوفرون Lycophon و « أنتستينيس » Antisthenes<sup>(٥٢)</sup> وبسبب هذه التضحية الجريئة جعلت عنوان هذا الجزء من كتابي : « الخيانة الكبرى » . إنها لم تكن خيانة للديمقراطية الأثينية وحدها ، بل خيانة للأستاذ الذي كان أول مرشد له ، والذي أولاه حبه . والواقع أن كثيراً من الحجج التي قيأت في مهاجمة الديمقراطية وضعها أفلاطون على لسان سقراط . لقد جعل أفلاطون أستاذه القديم يقول عكس ما علمه . فهل بلغ خداع النفس عنده حدّاً لم يستطع معه أن يميز بين سقراط الحقيقي ، وسقراط الذي خلقه وهمه<sup>(٥٣)</sup> .

أيمكن أن تكون هناك خيانة أشع من هذه الخيانة ؟. إن أفلاطون لم يتنكر لأستاذه ، ولكن ما فعله كان أسوأ من هذا ، فقد عرض في مؤلفاته الأخيرة صورة هزلية لسقراط كانت تشويهاً معيماً له . ولنكرر ما قلناه من قبل من أن سقراط كان ديمقراطياً ، مؤمناً بالنزعة الفردية ، داعياً إلى المساواة ، وقد صار أفلاطون بالتدريج على نقيضه في كل هذا . كان هم سقراط الأكبر أن يعلم محاسبة الإنسان نفسه ، وكان دائماً أبدأً على استعداد للاعتراف بجهله . أما أفلاطون فعلى العكس كان الأستاذ الذي عرف الملك الفيلسوف بأنه من يتعين طاعته في ثقة واضئنان . كان واضح « الجمهورية » الكاملة بحكم تعريفه . ومن أجل هذا استحال أن تتعرض للتغير دون أن يكون تغيرها وصمة .

وهذاك نوع آخر من الخيانة لا يعتبر أفلاطون مسئولاً عنه ، وهو شبيه بالنوع الذي وصفه المؤلف الفرنسي چوليان بندا Julian Benda (١٨٦٧- ) في كتابه « خيانة الكتاب »<sup>(٥٤)</sup> ، فالكتاب الذين خانونا - فيما أريد أن أقرر - هم الشراح الكثيرون الذين تعرضوا لشرح التفكير السياسي عند أفلاطون ،

وقدموا لنا منه صورة زائفة كل الزيف ، لأنهم موهوا فكرته في الحكم المطلق وآراءه في شيوعية الملكية والنساء والأطفال .

ومرة أخرى لا أملاك أفضل من أن أقتبس كلام « بوبر » في هذا الصدد :  
 « أى تثال لتفاهة الإنسانية يبدو في فكرة الملك الفيلسوف .  
 ما أبعد هذا عن بساطة النزعة الإنسانية عند سقراط ، ما أبعد عن  
 مطلب سقراط من السياسى المسئول ، وهو ألا يؤخذ بمزاياه وسلطانه وحكمته  
 بل يعرف أهم الأشياء إطلاقاً ، وهو أننا جميعاً كائنات بشرية ضعيفة .  
 ما أبعد دنيا هذا الفيلسوف المتهم الصادق العاقل من مملكة أفلاطون  
 التى يحكمها ذلك الحكيم الذى يرفعه سلطانه السحرى عن مستوى عامة  
 الناس ، وإن لم ينزهه عن مباشرة الكذب ، ولا يعصمه من أن يكون  
 كالشامانيين • يتجر بالمحرقات وينتجها حتى يتسلط على غيره من  
 الناس (٥٥) » .

#### محاورة تياوس :

سنعرض فيما بعد لتحليل الأفكار العلمية عند أفلاطون . ولكن من الأوفق  
 أن نتحدث الآن عن الكتاب الذى يعتبره أكثر العلماء المؤلف العلمى الرئيسى  
 بين آثاره ، وهو « تياوس » ، وفيه يعالج العلم لا بمعناه الضيق المحدود ، بل  
 باعتباره بحثاً فى الكون . إنه دراسة للعالم فى وحدته ونظامه وجماله . والعلم  
 — بالمعنى الذى نفهمه — دراسة لظواهر حسية محددة ، والفضل فى أنه شق  
 طريقه وآتى أكله راجع إلى ما يقتضيه من تثبيت وتأمل ، أما الكونيات فعلى  
 عكس هذا موضوعها الكون كله . ومن أجل هذا يعتبر الباحث فيها فيلسوفاً  
 ميتافيزيقياً لا رجل علم بصرف النظر عن العناصر العلمية التى تدخل فى بحثه .  
 • يصدق هذا بوجه خاص على محاورة تياوس التى ظل كثير من الشراح  
 آلافاً من السنين يعدونها أوج الحكمة الأفلاطونية ، والتى لا يملك رجال العلم  
 الشامانية Shamanism عقيدة بعض قبائل آسيا الشمالية وأمريكا ؛ وخلصتها أن أقدار  
 للناس فى الحياة تقررها مجموعة من الآلهة أو الأرواح مطبوعة على الشر . ( المترجم )

الحديث إلا أن يعتبروها أثراً تذكاريّاً يشهد بافتقار أفلاطون إلى الحكمة والتبصر<sup>(٥٦)</sup> .

وفي أواخر حياة أفلاطون - ولنقل إبان العشرين عاماً الأخيرة - شرع في كتابة محاوراته الثلاث : « تيمائوس » و « كريتاس » Critas و « هيرموكراتيس » Hermocrates . وقد أتم « تيمائوس » وكف عن كتابة كريتاس فجأة ( في منتصف جملة كان يكتبها ) ولم يبدأ في كتابة المحاوره الثالثه ، والمحاورات الثلاث كلها تروى قصة العالم منذ عصر ما قبل التاريخ إلى فجر المستقبل . وكان الجزءان الأخيران في السياسة . ولعل أفلاطون قد تبين بمجرد الانتهاء من جمع ملاحظاته أن الإطار الأصلي ضيق شديد الضيق ، فتحلى عنه وشرع في تأليف كتابه « القوانين » وهو آخر كتبه وأكثرها إسهاباً . ومن الواضح أن الإنسان إذا أخذ يشرع للمستقبل ، ونزعت به الرغبة إلى معالجة تشريعه بالإسهاب والتفصيل ، تضخم لا محالة كتابه وتجاوز حجمه كثيراً حجم المحاورات الأصلية .

وقد سميت محاوره « تيمائوس » باسم المتكلم الرئيسي فيها ، تيمائوس النوكريشى ، وهو شخص يتعذر اعتباره موجوداً بالفعل ، ولعله كان من خلق الخيال الشعري<sup>(٥٧)</sup> وتيمائوس أساس الدراسات الكونية في المحاورات الثلاث . وفي وسعنا أن نقسم الحوار إلى ثلاثة أجزاء ( والرقم الموضوع بين قوسين يدل على طول أحدها بالنسبة للآخرين ) :

( ١ ) المقدمة ( ٨ ) وهي تتضمن أسطورة « أطلنطس » Atlantis كما رواها « سولون » أحكم الحكماء السبعة<sup>(٥٨)</sup> .

( ٢ ) علم الوجود بمعناه الخاص ( ٤٢ ) ، صنع النفس الكلية ، ونظرية الأركان ، ونظرية الهوى ( المادة ) والأشياء المحسوسة .

( ٣ ) علم وظائف الأعضاء - الطبيعي منه والمرضى ، ( ٢٣ ) صنع النفس الجزئية وجسم الإنسان . والجزء الثاني هو الجزء الرئيسي ، وهو أطول بكثير من

الجزعين الآخرين مجتمعين . وهو يبحث في ماهية علم الطبيعة ، والوجود والصبرورة ، والمثال والشبح ( العالم المرئي المحسوس عند أفلاطون ليس إلا أشباحاً تحاكي العالم الحقيقي ) والخلق وجرم العالم ونفسه ، وتعاون العقل والضرورة وهلم جرأً ، وتحليل المحاوره تحليلاً أوفى من هذا يستوعب مكاناً أفسح وأوسع ، ولا يفيد إلا في تضليل القارئ .

والمفروض في المدينة المثالية المشروحة في الجمهورية أنها وجدت فعلا في الماضي السحيق ، في أثينا في عصر ما قبل التاريخ . ومع هذا فالغرض من كتابة « تهاوس » هو ربط الجمهورية المثالية بتنظيم العالم كله ، فالجمهورية ليست إلا المظهر السياسي للعالم . وليست الأخلاقية الإنسانية إلا انعكاس العقل الكوني .

وصانع العالم Demiurgos ليس خالقاً ولكنه يشبه العقل عند أنكساجوراس من حيث إنه منظم للعالم ، ونسمة العقل الإلهي . والعالم المنظم هو نفسه إلهي على قدر مسابرة منطق العقل . والتفرقة بين المادة والعقل عند أفلاطون ليست واضحة تماماً ، لأن كليهما يمكن تفسيره بالعقل الكلي . ومع هذا فهناك صورة أخرى للثنائية تتمثل في محاوره « تهاوس » ، وهذه الثنائية تبدو في التفرقة بين العالم الأكبر ( الكون ) والعالم الأصغر ( الإنسان ) ، وقد قال بهذه التفرقة من قبل « ديموكرييتوس » ولكن أفلاطون هذبها كثيراً جداً .

والعالم يشبه جسماً حياً فريداً . يبدو التدليل على معقوليته في انتظام حركات الكواكب ، ومن الممكن أن تقارن نفس العالم بنفس الإنسان ، لأن كليهما إلهية وخالدة .

والكواكب والنجوم أعظم مجلى للمثل . ومن الممكن اعتبارها في نظره آلهة . وعلم الفلك هو المعرفة التي تلزم للحكمة والصحة والسعادة . ومن الممكن أن نجد في الموسيقى وفي نظرية الأعداد أثر الرياضيات الإلهية التي تكشف عنها

حركات النجوم ، فالناس عندما يموتون تعود نفوسهم إلى النجوم التي يتصل بها مولدهم<sup>(٥٩)</sup> .

وعن «تياوس» أخذ الناس المذر التنجيمي الذي أضر كثيراً بالعالم الغربي ولا يزال يفعل فعل السم في ضعف العقول في أيامنا الحاضرة . بل كان علم التنجيم نفسه فرعاً من علم التنجيم عند البابليين . وإنصافاً لأفلاطون يتعين الاعتراف بأن التنجيم عنده بقي مترناً وروحانياً ، ولم يتحول إلى تنبؤاته بالغيب . فقد كانت الكواكب في نظر عقله المتأمل شبيهة بالساعات الدقيقة التي تكشف عن سير الزمن ، وعن أنغام النفس الكلية .

وهذه الأنغام تبدو - بسبب عدد الكواكب - معقدة كل التعقيد ، ولكنها وضعت في مجموعات معينة ، وهذه المجموعات نفسها تتكرر بعد فترة معينة من الزمن . هذه الفترة هي السنة الكبرى<sup>(٦٠)</sup> التي تقاس بالعدد الكامل (٣٦٠٠٠) عام أو (٧٦٠,٠٠٠ عام؟) .

وفي الإمكان التوسع في بيان التشابه الشعري بين العالم الأصغر (الإنسان) والعالم الأكبر (الكون) ، بين جسمنا وبين الجسم الكلي<sup>(٦١)</sup> . لقد سيطر هذا التشابه على تفكير أفلاطون ، وبسبب مكانة أفلاطون نفسه هيمن هذا التشابه - إلى حد كبير - على تفكير كثير من مفكرى العصور الوسطى ، بل حتى على رجل من المحدثين مثل «ليوناردو دافنشي» Leonardo da Vinci . ومن هذا التشابه كانت الناحية الخاصة التي أثارت اهتمام أفلاطون أكثر من غيرها ، هي بالطبع الناحية التي تشير إلى أن المدينة الكاملة في أحلامه صورة من المدينة الإلهية . إن تياوس دعامة كوزمولوجية لما ورد في الجمهورية .

والكون مركب من أربعة عناصر ، هي الأرض والماء والهواء والنار ، ويتوسط الثاني والثالث منهما نسبياً بين الأول والأخير<sup>(٦٢)</sup> . وهذه العناصر أجسام صلبة ، ومع ذلك يمكن أن تتحلل إلى أجزاء هندية ، وإليها تعزى الأجسام الصلبة المنتظمة الأربعة<sup>(٦٣)</sup> .

وقد قابل أفلاطون في سيراكوز « فيليستيون » Philistion من أهل « لوكروا » ولعله تأثر به ، أو كان يمكن أن يتأثر به لو كان أقل نفوراً من العلم التجريبي . ولم يكن فيليستيون مجرد باحث نظري يتبع إمبيدوكليس Empedocles ، وإنما كان عالم تشريح ممتازاً ، قام بتشريح جثث كثيرة ، وشرح كثيراً من الكائنات وهي حية لأغراض علمية ، واعتبر القلب منظم الحياة الرئيسي وكانت ملاحظاته على القلب الحى غاية في الدقة ، واكتشف أن بطيئى القلب يموتان قبل موت أذنيه ( ونحن نعرف حقيقة أن أذينة القلب النبى هي جزء القلب الذى يموت أخيراً (ultimum moriens) وأن صمام الشريان الرئوى السبى ( وهو على شكل الحرف سين ) أضعف من صمام الأورطى السبى ( وهو الشريان الذى تنبت منه شرايين الجسم ) ؛ وهذا صحيح تماماً لأن ضغط الدورة الرئوية ليس إلا ثلث ضغط الدورة المتعلقة بالبنية . وملاحظات فيليستيون تثير الدهشة ، لأنها تتضمن قدراً كبيراً من التجريب العلمى ، ولكننا حين نعزو إليه هذه الملاحظات نستند فى هذا إلى افتراض أنه كان مؤلف بحث أبقرات عن القلب (٦٤) .

إن دورة الطعام والدم فى الجسم تشبه دورة الماء فى الأرض (٦٥) أو « تشبه حركة الأشياء فى العالم ، وهى تحمل كل شىء نحو نوعه الخاص » (٦٦) .

وقد عرف أفلاطون ثلاث مجموعات من الأمراض ، أول مجموعة منها تنشأ عن تغير العناصر الأربعة ، وثانيها يحدثها فساد الأمزجة الناجمة عن هذه العناصر ، وثالثها تصدر عن النفس والبلغم والصفراء (٦٧) . وهذه المجموعة الثالثة توحى بالمقارنة بينها وبين Tridosha in Ayurveda ولما كانت أفكار أفلاطون وأفكار أطباء الهند متشابهة فى الغموض ، كانت المقارنة بينهما عديمة الجدوى (٦٨) .

أما الجزيرة المفقودة « أطلنطس » (٦٩) وهى تقع فى مكان ما غربى جبل طارق ، فقد أوحى بكثير من الأفكار التى لا تسير منطق العقل . فمن ذلك أنه حين توصل إلى معرفة قياس علو المحيط الأطلنطى بملاحظة ضغط الهواء الجوى ، وشرع علماء طبقات الأرض فى أن يضعوا على أساس الملاحظة الدقيقة

فروضاً توصلهم إلى معرفة الجزائر أو القارات المفقودة ، قيل إن أفلاطون سبق إلى اكتشافها . . ! لقد أضع كثير من علماء الحيولوجيا وقتهم سدى في أن يجعلوا حلم أفلاطون شيئاً من الحقيقة !

وقد مضى في هذه الضلالات إلى نهايتها منطقي بولندي هو « فينستى لوتسلافسكى Wincenty Lutoslawski في كتابه المشهور : « نشأة منطوق أفلاطون ونموه »<sup>(٧٠)</sup>، إذ قرر أنه وجد في كتابات أفلاطون ما يشهد بأنه سبق إلى كشف الحيوانات المائية<sup>(٧١)</sup> وأنه سبق كذلك إلى معرفة التركيب الصحيح للماء ، من أنه مؤلف من ثلاثة جواهر فردة اثنان منها من غاز خاص والثالث من غاز آخر<sup>(٧٢)</sup> Risum tencatis وبين لنا هذا إلى أي حد ذهب تقديس أفلاطون ، لأنه لو استطاع أن يسبق ليونوك Leeuwenhock ولافوازيه Lavoisier إلى فتوحهما العلمية من غير أن يستخدم آلات تساعده على ذلك ، لما كان رجل علم ، بل لكان ساحراً وخالقاً للمعجزات . إن « لوتسلافسكى » في موقفه هذا يذكرني بعامة الناس الذين يأبون إلا أن يردوا الكشوف العلمية إلى الإنجيل أو إلى القرآن . ومهما يكن من شيء فإن سبق هذين الكتّابين إلى العلم أدنى إلى المنطق من سبق أفلاطون ، لأنهما ما داما من وحى الله ، وهو العليم بالمستقبل ، فليس في سبقهما إلى العلم أية دهشة . وتطبيق مثل هذا على أفلاطون ، دون القول بالرهينة - يشتمل على تناقض أساسي .

وإذا كان فيلسوف معاصر له دربة وامتياز مثل « لوتسلافسكى » ، قد استطاع أن يستخرج من تباوس ما ذهب إليه ، فلا عجب أن نجد تلك التأويلات المضحكة التي ذهب إليها علماء العصور القديمة والوسطى . فإن محاورته « تباوس » لم تؤخذ على أنها خيال شاعر بل اعتبرت إنجيلا في الدراسات والنقد في ذلك الصيت البالغ الذي لأفلاطون الإلهي ، وقد فتن غموضها البالغ كثيرين من القراء ، ولعل بعض غموضها جاء عمداً ، ولكنه يعزى - إلى حد كبير - إلى الخلط الملحوظ في أفكار أفلاطون . إنه غموض من النوع الذي يمكن اعتباره صادراً عن وحى ، والذي يعده ضعاف العقول ربانياً وحقاً لا ريب

فيه . وقد ضاع الفيلسوف الشاك الشاعر تيميون Timeon الفليوسى<sup>(٧٣)</sup> فعلا جديداً هو تيمومس timaiographein بمعنى يكتب بأسلوب تياوس الموحى به . وقابل جوليان المرتد عن دينه Julian (فى النصف الثانى من القرن الرابع) بين تياوس و «سفر التكوين» ، وكان بروكليس Procles (فى النصف الثانى من القرن الخامس) – أحد رؤساء الأكاديمية الأواخر – يريد أن يبيلد جميع الكتب ما عدا «تياوس» وآثار الكلدان المنبئة عن الغيب<sup>(٧٤)</sup> .

فأثر تياوس فى العصور المتأخرة قوى غلاب ، وإن كان فى جوهره سيئاً . وقد نقل «خالكيديوس» (فى النصف الأول من القرن الرابع) شطراً كبيراً من تياوس إلى اللاتينية، وظلت هذه الترجمة النص الأفلاطونى الوحيد المعروف للغرب اللاتينى أكثر من ثمانية قرون<sup>(٧٥)</sup> . ولكن شهرة أفلاطون لم تلبث أن وصلت إليه ، وعندئذ أصبحت «تياوس» فى ثوبها اللاتينى نوعاً من الإنجيل الأفلاطونى فكان كثيرون من مفكرى العصر المدرسى على استعداد لتفسيره تفسيراً حرفياً<sup>(٧٦)</sup> . وكانت أخطاء «تياوس» تؤخذ على أنها حقائق علمية . ولا أستطيع أن أذكر كتاباً آخر كان تأثيره أسوأ من تأثير «تياوس» اللهم إلا «وحى» القديس يوحنا الإلمى ، ومع ذلك فإن سفر الرؤيا تقبله الناس على أنه كتاب دينى ، بينما سلموا بمحاورة تياوس على أنها كتاب علمى ، ولا تكرر الأخطاء شديدة الخطر إلا إذا قدمت إلينا تحت ستار العلم .

### الحب الأفلاطونى :

نقرأ فى كتاب «القوانين»<sup>(٧٧)</sup> «أن جميع الأشياء تعتمد فى نظر الناس على ثلاث حاجات أو رغبات ، إن أحسن الناس تدبيرها أدت إلى الفضيلة ، وإلا انتهت إلى الرذيلة» وهذه الحاجات الثلاث هى الجوع والظمأ – ويبدأ شعور الإنسان بهما منذ ولادته – والشهوة الجنسية والشعور بها يأتى متأخراً . ويقرر أفلاطون فى «تياوس»<sup>(٧٨)</sup> أنه «طالما كانت الطبيعة البشرية تبدو

على صورة ثنائية (مذكر ومؤنث) فيتعين أن تطلق كلمة «الرجل» على أرقى الجنسين» .

وفي نهاية الكتاب نفسه وضع أفلاطون نظرية مضحكة عن الجنس . ويبدو بحثه في الأجنحة في صورة ذيل للكتاب ، كما أن فكرة الجنس نفسه قد وجدت في نظره بعد ظهور الخليقة ، أي كعامل يبعث على البلبلة ، يقول :

ومن هنا تميزت الأعضاء التناسلية في الرجال بالعناد وعدم الطاعة كما لو كانت كائناً أصم لا يسمع للعقل نداء ، يحاول أن يتسلط على كل ما عداه مدفوعاً إلى هذا التسلط بشهواته الجامحة ، وكذلك الحال في النساء ، يضيق لنفس الأسباب الذي يسمى بالرحم - وهو شيء داخلي يميل أشد الميل إلى إنجاب الأطفال - ويقلق إذا لبث فترة طويلة بعد موسمها الملائم للإثمار دون أن يحمل ثمرة . ومن ثم يشبع في أنحاء الجسم ويسد مسالك الهواء ويمنع التنفس ويبعث في الجسم الضيق ، بل يسبب جميع الأمراض حتى تربط بين المرأة والرجل والرغبة والحب (٧٩) .

وفي جزء آخر من الكتاب نفسه يقول بعد أن أشار إلى الشهوات الجنسية .

«إذا سيطروا على هذه (الشهوات) عاشوا في عدالة ، فإذا استعبدهم شهواتهم عاشوا في ظلم (أراذل) . ومن قضى حياته في عيشة طيبة عاد ثانية إلى مقره في نجمه الذي ولد فيه ، وعاش مرة أخرى حياة سعيدة متناسبة متجانسة . ومن أخطأه التوفيق في ذلك تغمص عند ميلاده الثاني طبيعة امرأة . وإذا استمر وهو على هذه الصورة لا يمسك عن إتيان الشر اعتراه التغير في كل مرة وفقاً لطبيعة فعله ، فيتغير إلى صورة حيوان يشابه طبيعة الشر الذي يأتيه ، ولن يتخلص إبان هذه التطورات التي تتناوبه من البلايا حتى يذعن لذلك الذي يقيم في باطنه ، والذي لا يعتوره التغير (العقل) وحتى يعود ثانية إلى صورته الأصلية المثلى (وهي طبيعته الناطقة) ، وهو إذا سيطر بالعقل على الكتلة الثقيلة المادية اللاعقلية التي لحقت به ، والتي

تتألف من النار والماء والأرض والهواء ، عاد إلى مشابهة حالته المثلى الأولى» (٨٠) .

وقد أوضح أفلاطون على لسان «ديوتيميا» في محاوره «سيمبوزيوم» أن الرغبة الجنسية هي أدنى صورة لميلنا إلى الخلود . وأدرك أفلاطون الحاجة إلى الزواج وإنجاب الأطفال ، ورأى أن العلاقات الجنسية عند الصفاة تدخر لمناسبات رسمية معينة . تنظم وفقاً لحاجة المدينة إلى النسل . ويلوح أن أفلاطون لم يدرك أن الحب بين الأزواج يتضمن على وجه خاص علاقة ود وثيقة بين شخصين ، وأنه يقتدر إلى عطف كثير ورقة فياضة يبديها كل منهما نحو قرينه ، وأن هذا الحب يفضي - متى واتى الحظ - إلى خير عظيم ، إذ فكر أفلاطون في إحداث زيجات قصيرة الأمد على نحو ما يفكر مربي الماشية ، ولم يخطر له فيما يبدو أن الزواج ليس مجرد ارتياح جنسى ، وتحسين نسل ، ولكنه علاقة بين شخصين ، شركة بين قلبين ، وأنه لا قيمة لغير الزيجات الطويلة المدى في تنمية الشخصية وإثرائها . وفي تحقيق الانسجام بين كل زوجين ، وكلما طالت الزيجة كانت أفضل ، وأن الوثام السعيد الباقي هو أعظم نعم الحياة .

كيف أمكن ألا يفكر أفلاطون المثالي في مثل هذه الأمور ؟ إن السبب ، في بساطة ، هو أنه كلما عرض لتصوير الرغبات الجنسية في صورة مثالية - وقد فعل هذا كثيراً - تصور وجود نزاع بين الروح والجسد ، وكلما اتخذ وجهة نظر (رومانتيكية) في الحب ، كان قوام تفكيره هو الشذوذ الجنسي ، لا الميل الطبيعي الذي يقوم بين الجنسين المتضادين .

ولحب الأفلاطوني في نظرنا معنيان : يبدو أولهما في الرغبة المألحة في الاتحاد بالجمال وتأمل المثال ( كما أبانت عنه «ديوتيميا» ) ، ويتمثل ثانيهما في الصداقة الروحية التي لا تقترن برغبة جنسية . وعند ما تفكر في الحب الأفلاطوني بالمعنى الثاني ، تخطر لنا الصداقة الروحية التي تقوم بين رجل وامرأة . ومع هذا فكر أفلاطون في قيام صداقة روحية بين رجل وصبي ، فكان الحب

الأفلاطوني عنده إعلاء للواط ، والحب الصادق فيما يقول في محاوره « سيمبوزيوم »<sup>(٨١)</sup> هو الطريقة الصحيحة لمحبة غلام to orthos paiderastein لا يستلزم ذلك أن أفلاطون كان ممن يزاولون اللواط بالمعنى الفعلي ، ولكن يكاد يكون مؤكداً أنه كان مصاباً بشذوذ جنسى . إنه لم يتزوج أبداً . وإذا كان تحدث أحياناً عن العلاقات الجنسية التي تقوم بين الرجال والنساء . فحديثه مجرد عن كل عاطفة . وكان يدخر مشاعره الرقيقة للعلاقات الشاذة مع بنى جنسه . إنه كان ممن يبغضون المرأة . يبدو هذا كثيراً في ثنايا كتاباته . قارن مثلاً ذلك القول المهذب الذي قاله « كسينوفون » في زوجة سقراط « كزانتب » Xanthippe في كتابه Memorabilia<sup>(٨٢)</sup> بالعبارة القبيحة التي قالها عنها أفلاطون في محاوره « فيدون » . تحدث كسينوفون كما يتحدث رب الأسرة paterfamilias ووصف أفلاطون المنظر نفسه ووصف كاره النساء<sup>(٨٣)</sup> . فكيف يستطيع الإنسان أن يصدق أن أفلاطون الذي كان — من نواح أخرى — مهذباً رقيقاً ، قد أمكنه أن يضحى بالنساء وقدسية الزواج كما فعل في الجمهورية . لقد كان من السهل على رجل منحرف جنسياً أن يسلم بشيوعية الزوجات والأطفال .

ولكن يتعين علينا إنصافاً لأفلاطون أن نضيف إلى ما أسلفنا أنه قد حقر في كتابه الأخير « القوانين » من شأن اللواط<sup>(٨٤)</sup> . ولقائل أن يقول دفاعاً عنه إن هذا الداء كان شائعاً في أثينا ، بل في بلاد أثارت إعجاب أفلاطون مثل كريت ولاكيديمون . وفي رأيه أن قصة زيوس Zeus و « جانيميدس »<sup>(٨٥)</sup> Ganymedes وهي نموذج إلهي للواط ، قد اخترعت في كريت . وربما كانت هذه العادة في أثينا أكثر انتشاراً بين الأرستقراطيين ، والأثرياء الكسالى ، والمتحذلقين ، منها بين البسطاء من الناس . ومهما يكن من شيء فلا بد أن المخالطة السوية بين الجنسين كانت هي القاعدة العامة لا ما يستثنى ، ولولا ذلك لا تقرض الجنس ، ثم إن الإغريق كانوا يمجدون الزواج ، وكانوا يميلون إلى إنجاب الأطفال ، كما هي الحال عندنا ، بل أكثر ، لأن السلالة من الذكور كانت

مطلوبة لتواصل الشعائر المدنية ولتقوم بالشعائر الدينية بعد موت آبائهم . وكان أفلاطون يكتب في جو خاص يسوده الانحراف الجنسي ، ولم تكن هذه حال غيره من كتاب الإغريق المعاصرين له من مثل « كسينوفون » وفي وسعنا أن نتصور أن الرجل العادي في اليونان كان كقريبه في أيامنا الحاضرة ، يميل إلى النساء وإنجاب الأطفال .

كان من الضروري أن نعرض لإيضاح هذه المسائل ، وإن لم تكن على اتصال مباشر بتاريخ العلم ، إذ يتعين علينا أن نكون قادرين على تقدير شخصية أفلاطون ، وأن نعرف مدى رياء شراحه ، فأكثرهم آثروا أن يسدلوا ستاراً على انحرافه الجنسي ، كما أسدلوا هذا الستار على شيوعيته . وقد وجد من نقلوا كتبه من الإنجليز أن من السهل عليهم أن يخفوا الشواهد الدالة على انحرافه الجنسي ، لأن كلمة « محبوب » في الإنجليزية يمكن أن يراد بها المرأة ، كما يراد بها الرجل ، وعند اليونان اسم مفعول مذكر ، فلم يدعوا للغموض مجالاً ، وفي وسع المترجمين أن يبرروا احتشامهم المصطنع بضرورة توقيف الشباب . ومع هذا فقد يكون تجنب ترجمة نص وإسقاطه من الحساب أفضل من إساءة تأويله عن عمد ، إذ لا عذر يبرر الأكاذيب ، والأكاذيب التي تستخدم لتوضيح مثالية زائفة باطلة هي أسوأ الأكاذيب جميعها .

راجع دافيد مور روبنسون David Moor Robinson وإدوارد جيمس فلك

Edward James Fluck في كتابهما :

Study of the Greek Love names including a discussion of paederasty  
(210 pp.; Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1937).

وكذلك وارنر فايت Warner Fite في كتابه انحراف الأفلاطونية :

Hans Kelsen, Platonic Legend (New York: Scribner, 1934)

في كتابه : الحب الأفلاطوني 3, Platonic Love, The American Image

110 opp. (Boston, 1942).

## خاتمة :

كان أفلاطون شاعراً وفيلسوفاً ميتافيزيقياً ، وفناناً أبدع في استخدام أداة أدبية ذات جمال يكاد يرتفع عن التصديق ، هي النثر اليوناني في العصر الذهبي . وسنعرض لوجوه نشاطه العلمي في الفصل التالي ؛ ولكن يحسن بنا أن نلاحظ الآن أنه لم يكن عالماً ، وإنما كان باحثاً معنياً بدراسة الكون ، وما وراء الطبيعة ، وكان عرافاً . وتاريخ الفلسفة الأفلاطونية سلسلة طويلة من الغموض والتعقيد وسوء الفهم والتمويه .

وقد يبدو كلامنا في أوهام أفلاطون السياسية والجنسية غير ضروري في كتاب تخصص لتاريخ العلم . ولكن الحيل التي لجأ إليها الشراح لتجنب الحديث عن مغالطاته ، والتخلص من ضلالاته ، خليقة بأن تسرعى انتباهنا ، ولعلنا لا نجد في عالم الأدب شيئاً يمكن مقارنته بها إلا العمى الذي أصاب الناس إزاء بعض الأشعار القبيحة التي وردت في العهد القديم . فقد بدا أفلاطون الإلهي وكأنه معصوم من الخطأ ، لا يستطيع أحد أن يسىء الظن به من غير أن يعرض نفسه لسوء الظن ويصبح عقبة في سبيل فهمه . وقد كانت قصة مذهب ابن رشد بدورها سلسلة من الخلافات وسوء الفهم ، ولكن من نوع يختلف عن هذا كل الاختلاف . فبينما كان المديح يرتفع بأفلاطون إلى أطباق السماء ، وتختفي أخطاؤه أو تؤول تأويلاً ينطوي على التمجيد والتضليل ، صور الرأي العام ابن رشد في صورة أسوأ مما كان فعلاً . وإن اشتركت الحالتان - حالة أفلاطون وحالة ابن رشد - في شيء ، هو أن حكم العلماء كان يخضع في الحالين لرأى الجماهير ويصطبغ بلونه . فبينما كان هذا الرأي في صالح أفلاطون بوجه عام ، إذا به يدين ابن رشد ، أو - ليكون تعبيرنا أوضح - أصبحت المسألة أن من حسنت تربيته ونشأ في وسط كريم ، وقر أفلاطون واحترمه ، أما ابن رشد فإذا خطر لأحد استتبع ذكره ملامة وقلدحاً ، فكان الرجل المهذب بطبيعة الحال أفلاطونياً ، بينما كان أتباع ابن رشد متطرفين ودعاة للاضطراب .

مثل هذا المديح الذى لا يتمشى مع أصول النقد ينطوى على نفاق وتزييف ، إذ لا يستطيع أحد أن يمجّد إنساناً لمجرد هرائه وهذره ، وإلا كان موقفه بعيداً عن النزاهة .

ويبدو الأمر أهون من هذا ، لو ذكرنا أن الأسطورة الأفلاطونية ترجع فى قسط كبير منها إلى أحكام أدبية خاطئة . ذلك أن لغة أفلاطون كانت من الجمال وصعوبة الفهم بحيث تحمل على صرف النظر عما اشتملت عليه ، فظنّ جمال الأسلوب رشداً ، والغموض عمقاً ، وانتهى الأمر بأن احتل أفلاطون فى الثقافة اليونانية مكاناً ملحوظاً يكاد يكون شبيهاً بمكان هومر ، وهو بالفعل يشبه هومر من حيث إنه سيطر على التربية اليونانية .

هكذا بلغ سوء الفهم أوجه . لم يكن أفلاطون يحفل بالفردية أو الشخصية ، ومن ثم لا نستطيع أن نعتبره صاحب نزعة إنسانية صادقة . ومع هذا فإن دعاة النزعة الإنسانية فى بيزنطة وفلورنسا اعتبروه أستاذهم ، وكانوا على يقين من هذا ، مشوقين إلى الدفاع عن إيمانهم به إلى حد أنهم كانوا يأبون على الدوام أن يطلعوا فى مؤلفاته على الأدلة الناطقة التى تشهد بافتقاره إلى النزعة الإنسانية .

كان من حق أفلاطون أن يرى ما يبدو له من آراء ، ويتعين علينا ألا نلومه من أجل تعبيره عنها . ولكن الشراح الذين أساءوا وتأويل كل فكرة من أفكاره كان يمكن أن تكون مثاراً للنقد والاعتراض ، أولئك الشراح هم الخليقون بالقصاص . إن موقفهم مثير لكل حيرة . ولا بد أن المعلمين الذين وكل إليهم تربية حكام بلادهم فى المستقبل ، تسرهم لا محالة دعاوى أفلاطون الأرسقراطية ، بل تسرهم حتى طرقه فى الحكم الاستبدادى . ولكن كيف أمكن أن يصيبهم العمى فلا يروا أفكاره عن الشيوعية والشذوذ الجنسى ، وافتقاره إلى احترام النساء واستخدام الرقة معهن ، وغير هذا مما كان على خلاف تام مع ما تخيره من أفكاره ؟ كيف ترك أفلاطون مع ما اقترف من آثام تقارب القتل (٨٦) ؟

كان أفلاطون شاعراً عظيماً ، فى شعره لمحات من الحكمة ، ولكنه لم يكن على الدوام مرشداً يهدى إلى الطريق السوى ، وإنما كان فى كثير من الحالات

ضاراً جداً ، وربما قاد إلى الهلاك . ولكن من الخير أن الذين أسرفوا في امتداحه لم يتبعوه ، ولعله كان من الأفضل أن يعاملوه كما عامل هو هومر ، أى أن يتوجهوا بالزهور ، ثم يطردوه من المدينة . ولكن لا ، فإن هذا لا يجدى شيئاً . وما ينبغي أن نقلد أسوأ آدابه ، بل بالعكس يجب أن يؤذن له في البقاء بالمدينة ، وأن يكون له رأيه . فليبق أفلاطون ، ولنكشف عن حقيقته للناس ، فيبدو عظيماً أحياناً ، وغير عظيم أحياناً أخرى .

قد يؤول اللاهوتيون والفلاسفة ضلالاته وأويلا ينطوى على التقوية ، أما رجال العلم فإن جريمتهم في هذا لا يمكن اغتفارها . إن التربية التي تقوم على الأكاذيب شيء سيء ، وكلما بدت في ظاهرها طيبة كانت أبعث على الضلال وكان خطرهما أفدح .

ولما كان مذهب أفلاطون جزءاً من إنسانيات الغرب ، تطلب الإقدام على نقده شجاعة فائقة . وقد كان من أوائل من اضطلعوا بنقده تشارلس كروفورد Charles Crawford في بحث له عن فيلون (لندن ١٧٧٣) ؛ وكان كروفورد هذا شاباً نائراً في كلية كوين Queen بجامعة كمبرج ، وكان يشوه كتابه بزق الشباب واستخدام الكلمات الرنانة الجوفاء (شكل ٨٢) . وعلينا أن نعرف بفضل جورج جروت (١٧٩٤-١٨٧١) G. Grote الذي وضع كتاباً ضخماً عن أفلاطون وسائر رفاق سقراط .<sup>(٨٧)</sup> Plato & the other companions of Sokrates وقصد به أن يكون ملحقاً لكتابه تاريخ اليونان History of Greece وكان جروت معجباً بأفلاطون ، ولكنه لم يتردد في الإقدام على نقده .

وقد أشرنا من قبل إلى كتب أخرى حديثة كشفت عن أفلاطون كما كان فعلاً ، مستندة إلى الاقتباس من ألفاظه ، وأهمها جميعاً كتب فايت Fite (١٩٣٤) وفارنجنون Farrington (١٩٤٠) وبوبر Popper (١٩٤٥) .

كان وارنر فايت (١٨٦٧- ) Warner Fite أستاذاً لعلم الأخلاق في جامعة برنستون Princeton . وقد زودني في خطاب مسهب شرفني بإرساله إلى من هو بويل (Hopewell, N. J.) بتاريخ أول يوليو ١٩٤٤ ، بمجمل للنقد الذي



A  
DISSERTATION  
ON THE  
PHÆDON OF PLATO:  
OR  
DIALOGUE OF THE  
IMMORTALITY of the SOUL.

WITH  
Some general OBSERVATIONS upon the  
Writings of that PHILOSOPHER.

To which is annexed,  
A PSYCHOLOGY: or, An Abstract In-  
vestigation of the NATURE of the SOUL; in  
which the Opinions of all the celebrated Metaphy-  
sicians on that Subject are discussed.

---

By CHARLES CRAWFORD, Esq.  
Fellow Commoner of Queen's College, Cambridge.

---

L O N D O N :  
Printed for the AUTHOR :  
And sold by T. EVANS, No. 54, in Pater-noster-Row ;  
WOODFALL and Co. Charing-Cross ; and R. DAVIS,  
the Corner of Sackville-Street, Piccadilly.  
MDCCLXXIII.

(شكل ٨٢)

تحفة من الإيدب الأنجلیزی ، هی أول حملة علی فلسفة أفلاطون شنها تشارلس کروفورد  
عام ١٧٧٢ - ( مأخوذة عن نسخة موجودة فی مكتبة كلية هارفارد )

Harvard Collge Library

من القرن الثاني ) وجالينوس Galen ( فی النصف الثاني من القرن الثاني ) (٨٩)  
وبروكليس البيزنطي ( فی النصف الثاني من القرن الخامس ) وتلميذه اسكليبيودوتس

Asclepiodotos الإسكندري ( في النصف الثاني من القرن الخامس ) وقد اطلع عليها فلاسفة الأفلاطونية المحدثة . هذا فيما وضع باليونانية .

أما الشروح اللاتينية فقد بدأت بشرح خالكيدوس Chalcidius ( في النصف الأول من القرن الرابع ) وهو الذي نقل إلى اللاتينية تياوس حتى منتصف ٥٣ ج . أما المحاورات الأفلاطونية التالية التي ترجمت إلى اللاتينية فهي محاورة مينون Menon ومحاورة فيدون Phaidon ، وهذا لم يتم إلا حوالي عام ١١٥٦ . والموضوعات الرئيسة في هذا التراث تمثلها أسماء جون سكوت إيريجينا John Scott Erigena ( في النصف الثاني من القرن التاسع ) ووليام الكونشيسمي ( في النصف الأول من القرن الثاني عشر ) وبرنارسلفيستر Bernard Silvester ( في النصف الأول من القرن الثاني عشر ) وألبير الكبير Albert the Great ( في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ) ووليم المربيكي William of Moerbeke ( في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ) والقديس توماس الأكويني Thomas Aquinas ( في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ) . ولا أجد في القرن الرابع عشر شيئاً ، إلا أن المحاورة التي وضعها جان بونيه Jean Bonnet من أهل باريس ( في النصف الأول من القرن الرابع عشر ) وهي : Les Secrets aux philosophes من المحتمل أن تكون قد وضعت على نمط تياوس . والمحاوران في تلك المحاورة بلاكيديس Placides وتيميو Timeo . وقد تحدثت عن هذه المحاورة في الجزء الذي وقفته في مقدمتي على النصف الأول من القرن الرابع عشر ، ولكن من المحتمل أنها قد كتبت في أواخر القرن الثالث عشر ، والمؤكد أنها سابقة على عام ١٣٠٤ . وليس من السهل أن نستخلص التراث اللاتيني لمحاورة تياوس من تراثها في الأفلاطونية المحدثة .

والتراث العربي أعقب التراث اللاتيني ، كما أن اللاتيني أعقب اليوناني . إنه يبدأ بيحيى بن البطريق ( في النصف الأول من القرن التاسع ) وهو الذي ترجم تياوس إلى اللغة العربية . ويقال إن ترجمة أخرى قد قام بها حنين بن إسحاق ( في النصف الثاني من القرن التاسع ) وصحح هذه الترجمة ، أياً كانت ،

يحيى بن علي ( في النصف الأول من القرن العاشر ) .

وربما كان القول بوجود ترجمة تعزى إلى حنين بن إسحاق مرجعه سوء فهم ، إذ أن حيناً قد ترجم بالفعل شرح جالينوس للجزء الطبي في تياوس ، ترجمه إلى السريانية كما ترجم جزءاً منه إلى اللغة العربية . وأتم ترجمة حنين ابن أخته حبيش بن الحسن ( في النصف الثاني من القرن التاسع )<sup>(٩٠)</sup> وربما كانت هذه الترجمة مصدر خطأ آخر ارتكبه المسعودي في كتاب التنبيه الذي عزا فيه إلى أفلاطون كتاب تياوس طبي غير محاورة تياوس المعروفة . وفي وسعنا أن نقول ونحن مطمئنون إن تياوس الطبي هو في الواقع الجزء الطبي في محاورة تياوس ، وهو الذي ظهر مستقلاً ومنفصلاً ( عن بقية تياوس ) في شروح جالينوس الذي ترجمه حنين إلى العربية<sup>(٩١)</sup> .

وإذا صرفنا النظر عن الترجمة العربية لتياوس<sup>(٩٢)</sup> ، لاحظنا أن جوهر هذه المحاورة كان معروفاً لفلاسفة العرب عن طريق فلسفة أرسطو الإلهية ( في النصف الثاني من القرن الخامس ) وعن طريق الآثار التي خلفها أصحاب الأفلاطونية الحديثة ، وكان هذا التراث مضطرباً إذ امتزجت فيه آراء أفلاطون بآراء أفلوطين Plotinos وغيره .

وقد كتب حنين بن إسحاق رسالة تحت عنوان « ما يحتاج إليه في تعلم الفلسفة »<sup>(٩٣)</sup> وهذا العنوان يذكرنا بالعنوان الذي وضعه ثيون Theon من أهل أزمير Smyrna ( في النصف الأول من القرن الثاني ) ولكن مقدمة ثيون لأفلاطون كانت تنصب على الرياضيات .

هذا المحمل على إيجازه كاف في إيضاح تطورات آثار أفلاطون قبل ظهور الطبقات اليونانية واللاتينية .

وقد تفضى دراسة الآثار الأفلاطونية الأخرى إلى نتائج مشابهة لهذه النتائج . مثال ذلك ، وضع بروكليسيس ( في النصف الثاني من القرن الخامس ) شرحاً على « الجمهورية » نقله إلى العربية حنين بن إسحاق ( في النصف الثاني من القرن التاسع ) وعلق

عليه بالعربية ابن رشد ( في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ) وبالعبرية صمويل بن جودا من أهل مارسيليا ( في النصف الأول من القرن الرابع عشر ) وجوزيف كاسبي Joseph Kaspi ( في النصف الأول من القرن الرابع عشر ) . وقد نقل النص اليوناني إلى اللاتينية مانيويل خريسلورس Manule Chrysoloras ( في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ) . ولا بد أن جمستس بليثون Gemistos Plethon ( حوالي ١٣٥٦ - ١٤٥٠ ) قد تحدث عنه حين أبان لعلماء فلورنسا الفرق بين أفلاطون وأرسطو .

وترجمة أفلاطون ( إلى اليونانية والعربية واللاتينية والعبرية ) في العصور الوسطى معقدة كل التعقيد ، وكل كتاب منها يستحدث أشياء جديدة ويضيف أسماء من عنده .

إن سطوة أفلاطون كانت تزداد ازدياداً ملحوظاً ، وقد بدا هذا أولاً إبان عصر النهضة البيزنطية في القرنين التاسع والعاشر ، ثم تجلى في مدرسة شارتر Chartres ( إبان القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر ) وأخيراً في ظل أكاديمية أفلاطون في فلورنسا ؛ وسائر هذا انتشار « تياوس » وازدياد نفوذه . وانخدع كثيرون من العلماء فسلموا بالأوهام التي تضمنها هذا الكتاب كأنها حقائق إنجيلية . هذا الخداع قد عاق العلم عن التقدم ، وبقيت محاوره تياوس إلى اليوم مصدراً للغموض والخرافة .

## هوامش الفصل السادس عشر

( ١ ) هي أعظم البنايا الأثينيات المعرفات ، ولدت في « ثيسيا Thespias » بإقليم بيوتيا . ولم تكن مصدر إلهام المثال « براكستيلس » فحسب ، بل كذلك الرسام « أبيليس » Apelles وقيل إنها تطوعت - بعد أن هدم الإسكندر طيبة عام ٣٣٦ بإعادة بناء أسوارها ، مشترطاً أن يسجل هذا العمل متقوساً على شاهد يقول « خرب الإسكندر الأسوار ، ولكن فراين النبي أعادت بناءها .

( ٢ ) كانت تعاليم أوقليس تجمع بين الفلسفة الأيالية والجدليات والاخلاق السقراطية ، وقد عاشت المدرسة الميغارية أو الجدلية خاملة حتى نهاية القرن الرابع .

( ٣ ) سنعرض في الفصل التالي للحديث عن النتائج التي تربت على معرفته بارخيتاس ، أما نتائج الصداقة التي نشأت بينه وبين « ديون » فيتعين أن نعرفها الآن على وجهها الصحيح . كانت هذه الصداقة نذير شؤم عليه وعلى ديون وعلى سيراقوصة جميعاً ، إذ كان « ديون » قريب « ديونيسيوس الأول » وزيره ، ونظراً لتأثره بأفلاطون كان - فيما يبدو - تحذره الآمال الحسان وتلقوه النوايا الطيبة ، إذ حاول أن يعلم الملك وابن الملك ، فلما خلف الابن ( ديونيسيون الثاني ) أباه عام ٣٨٧ وهو في الثلاثين من عمره ، وله ولع مثله بالفنون وإن كان أضعف منه وأقل حزمياً ، قام بدور نصير الأدب والفلسفة . وتلقى أفلاطون دعوة من « ديون » لكي يعود إلى سيراقوصة ، فإما كان من الملك إلا أن طرد « ديون » وصادر أملاكه وحاول - بعد هذا - عبثاً أن يستبقي أفلاطون ، وعاش « ديون » فترة من الزمان في أثينا يختلف إلى الأكاديمية ، وفي عام ٣٥٧ عاونه أعضاء الأكاديمية على اقتحام سيراقوصة بالقوة ، وطرد « ديونيسيوس » الثاني ، وأصبح « ديون » بالضرورة طاغية بدوره ، بيد أنه قتل بعد ذلك بقليل . وقد أخذنا الكثير من هذه الحقائق عن رسالة أفلاطون السابعة ( وإن كانت نسبتها إلى أفلاطون مثار شك ) وهي الرسالة التي وجهها في شيخوخته إلى أنصار « ديون » بعد قتله ، وحثهم فيها على التزام الاعتدال وعدم التطرف . وتدل الرسالة على أن أفلاطون نفسه قد اشترك مع بعض أعضاء الأكاديمية في الفتنة اشتراكاً ملحوظاً ، وأن هؤلاء قد ساهموا في جرائم السياسة السيراقوصية . فيما يتصل بهذه الرسالة المنسوبة إلى أفلاطون ، راجع مجلة إيزيس Isis مجلد ٤٣ ص ٦١ ( عام ١٩٥٢ ) .

( ٤ ) هذا المكان الآن - فيما ورد في خطاب رقيق أرسله إلى الأستاذ « ميشيل ستيفانيدس » M. Stephanides من أثينا في ٢٣ يولييه عام ١٩٥٠ ميدان شعبي في أثينا يسميه العامة « أستروفوس » Astryphos ( هاجيوس ترايفول ) ولكنه يسمى أيضاً « أكاديمية » ، وللاثرين الحق في زيارة المكان ، وإن لم يوجد به نصب تذكاري .

( ٥ ) كان « أكاديموس » هو الذي كشف هدى ابني الإله « زيوس » إلى المكان الذي اختفت فيه أختها « هيلين » الإسرطية ، ولهذا أبى أهل إسرطة على الأكاديمية عند ما فتحوا أتيكا .

( ٦ ) المعاني المتعاقبة لكلمة « أكاديمية » وصيغها المختلفة في اللغات الأوروبية هي ، في إيجاز :

( ١ ) المدرسة التي أنشأها أفلاطون .

- (ب) كلية التعليم العالى .  
 (ج) المدرسة الثانوية .  
 (د) مدرسة خاصة (أكاديمية الموسيقى - أكاديمية بحرية . . . إلخ) .  
 (هـ) مكان للتربية أو التثقيف بوجه عام .  
 (و) جمعية للمشتغلين بالعلم .

ومنذ القدم والناس يشعرون بأن الأكاديمية لفظ يحمل معنى التثريف ، وكلمة درامة ، وقد زاد استعمالها من بريقها كما « أكاديمية العلوم » ، وكذلك أسىء استعمالها ، إذ توجد في العالم الآن أكاديميات لا قيمة لها ، وأى رجل من أتباع النزعة الإنسانية يذكر أفلاطون ، يعرف أن لفظ الأكاديمية لفظ مقدس .

(٧) ربما كانت هذه الخصوصية ضرورة أوحى بها إعدام سقراط ، فمثل هذا التعليم - كما كان يتصوره أفلاطون - تتعذر مزاولته علانية وإلا تعرض صاحبه للخطر ، ولهذا كان من الحكمة أن يباشر هذا النوع من التعليم على نحو خاص إن لم يكن سراً ، وفي مكان بعيد معزول عن الناس .

(٨) يوجد في دائرة معارف « باول فيسوا » (الألمانية) Pauly-Wissowa في المجلد ٢٢ (عام ١٩٢٢) ص ١٥٨٥ - ١٥٨٨ مقال طويل كتبه فون آرنم von Arnim عن كراتنور .  
 (٩) يمد « بروقلس » (البيزنطى) من بين الآسيويين ، وإن كانت بينظفة تقع على الجانب الغربى (الأوروبى) للبيفور .

(١٠) محاورة تباوس ٢٢ ب .

(١١) صولون (حوالى ٦٣٨ - ٥٥٨) هو المشرع الأثينى المعروف ، وأحد الحكماء السبعة ، وقد تغيب عن أثينا بعد أن أتم مجموعة قوانينه عشرة أعوام زار خلالها مصر وقبرص وليديا حيث كانت مقابلته المعروفة مع قارون Croesos ، وعقب عودته بقليل قبض على ناصية الحكم « بسترانس » Peisistratos وألنى قوانينه ومات صولون بعد ذلك بعامين - حوالى عام ٥٥٨ .

Republic x, 616 (١٢)

Ibid, 414. (١٣)

(١٤) في محاورة القينادس Alcibiades I (121E-122A) ونسبها إلى أفلاطون موضع شك ، وفى سن الرابعة عشرة تعلم الإيراني الصغير مذهب « زرادشت » المجوسى ، وهو ابن « هورومازوس » Horomazos

(١٥) حين تراد المثل الأفلاطونية يقصد بهذه الكلمة التمييز بين هذا المعنى الخاص (الأفلاطونى) وبين المعانى الشائعة .

(١٦) كما يقول المثل الوارد في بداية الجمهورية في الكتاب السابع - ٥١٤ وما بعدها : نحن نشبه السجناء في كهف فهم لا يعرفون الأحداث التى تقع خارج الكهف إلا عن طريق ظلالها التى تبدو على الحوائط الداخلية .

(١٧) الكلمتان اللتان استخدمهما أفلاطون هما he idea بمعنى مثال ، و to eidos بمعنى

صورة أو شكل ، والكلمة الثانية غريبة من ناحية دلالتها على المعنى ، لأن معناها الأصلي هو « هذا الذى يرى » والمثال لا يمكن رؤيته ، وكل ألفاظنا المجردة ترجع بالضرورة إلى أصول محسوسة .

( ١٨ ) شيلي Shelley الذى استبقينا عنه هذه الفقرة يخفى - كما أخفى الكثيرون غيره من مترجمي أفلاطون - حقيقة واضحة فى النص اليونانى هى أن « الأشخاص المحبوبين » ، ليسوا نساء ، بل غلماناً حساناً ، إن الفلسفة الأفلاطونية تقود فى يسر إلى التناق .

( ١٩ ) من ترجمة شيلي لمحاورة (211) Symposium التى أعيد طبعها فى « خمس محاورات لأفلاطون تتصل بالإلهام الشعرى » طبعة : Everyman's Library ( ٢٠ ) إن الفضيلة شرط السعادة ، والشر أو الإثم تقدير خاطيء ، والرجل الفاضل حقاً هو بالمعنى الأفلاطونى المنطوق الذى يعرف مثال الخير .

( ٢١ ) أرسطو فى كتابه : Metaphysics, 991

Introduction, vol. 3, pp. 81-83, 549-557 ( ٢٢ )

( ٢٣ ) لتعريف operationism أنظر « داجويرت د . رونز » Dagobert D. Runes فى قاموسه فى الفلسفة Dictionary of Philosophy ( نيويورك المكتبة الفلسفية Philosophical Library ١٩٤٢ ) ص ٢١٩ ، وراجع مجلة إيزيس مجلد ٣٩ ص ١٢٨ ( ١٩٤٩ ) .

( ٢٤ ) يفهم لفظ « المثالى » ( وهو أحياناً لفظ زلوق عن الإدراك الدقيق ) على اعتبار أنه ضد الواقعى .

( ٢٥ ) فى تقديري للسياسة عند أفلاطون ، استعنت كثيراً بكتاب « وارنر فايت » Warner Fite « الخرافة الأفلاطونية ( ٣٤٠ صفحة ) » Warner Fite, The Platonic Legend (340 pp., New York: Scribner, 1934)

واستعنت كذلك بكتاب « بنيامين فارنجتون » Benjamin Farrington « العلم والسياسة فى العالم القديم » Science & Politics in the Ancient World ( ٢٤٣ صفحة ) نيويورك مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٤٠ مجلة إيزيس مجلد ٣٣ ص ٢٧٠ - ٢٧٣ ( ١٩٤١ - ٤٢ ) واستعنت قبل هذا بكتاب كارل بوبر Karl Popper « المجتمع المفتوح وأعدائه » The Open Society & its Enemies ( جزآن - لندن Routledge ١٩٤٥ - طبعة جديدة فى جزء واحد ٧٤٤ صفحة برنستون طبعة جامعة برنستون Princeton University Press ١٩٥٠ ) - واستشهاداى مأخوذة عن الطبعة الأولى .

( ٢٦ ) فى ترجمة « جوويت » Jowett تستغرق الجمهورية ٣٣٨ صفحة ، بينما تقع محاورة « السياسى » فى ٦٨ صفحة وكتاب « القوانين » فى ٣٦١ صفحة ، فجموعها ٧٦٧ صفحة ، وليس بين مؤلفاته مؤلف يستغرق أكثر من مائة صفحة .

( ٢٧ ) لتكون المقارنة أدق ، تصور أننا ( يقصد المؤلف الأمريكين ) قد هزمتنا أمام الألمان ، لأننا شرعنا فى تدبير استعداداتنا متأخرين جداً ، أو لأنهم اخترعوا القنبلة الذرية قبل أن نتوصل نحن إليها ، وأن أستاذ إدارة الحكم فى جامعة هارفارد قد أخذ يمتدح معتقدات النازية ويبيش بها ... !

(٢٨) العنوان الأصلي هو *Politeia e peri dicaiu* نظام الدولة أو ما يتصل بالعدالة ، ولعل الكلمة الأولى قد أصبحت إنجليزية *polity* ، وترجمتها « بالجمهورية » مضللة نوعاً ما ، ولكنها استقرت الآن تماماً حتى ليتعذر تغييرها فيتمين أخذ كلمة « الجمهورية » بمعناها الأصلي .  
res publica

(٢٩) لسنا في حاجة إلى مناقشة مسألة الرق في هذا المقام ، فقد كان العبيد أصلاً أسرى الحرب الذين كانوا عرضة للموت ، فاختراروا العبودية كشر أهون من الهلاك ، وقد كان الرق أمراً مقبولاً ، لا في نظر أفلاطون وأرسطو فحسب ، بل حتى بعدها بستة عشر قرناً عند أمثال القديس توماس الأكويني ( في النصف الثاني من القرن الثالث عشر). انظر Introduction, Vol. 2, p. 916 - ومن وجهة نظر أفلاطون كان الشعب في مستوى الرقيق من الناحية الروحية .

(٣٠) *epithymia thymiatymos Nus* وهذه النفوس الثلاث تقابل على الترتيب المسالك الهوائية الثلاثة *pneumata* في علم وظائف الأعضاء عند جالينوس وهي : النفسية والحيوية والطبيعية التي كانت أساس علم وظائف الأعضاء إلى أيام « هارفي » Harvey بل إلى ما بعده ، ومقارنة الحالة كلها بجسم فرد واحد تصور رأى الفلسفة الأفلاطونية التصوير الحق .

(٣١) يصف أفلاطون الطوائف المصرية في محاوره تيمائوس ٢٤ - أما عن المقارنة بالطوائف الهندية فانظر ا. سنارت E. Senart. (١٨٤٧ - ١٩٢٨) في كتابه « الطوائف في الهند » *Les castes dans Indes* باريس ١٨٩٦ و ١٩٢٧ مجلة إيزيس المجلد الثاني ص ٥٠٥ (١٩٢٨) وراجع أيضاً « ج . ه . هاتون » J. H. Hutton في كتابه « الطائفة في الهند » *Caste in India* - طبعة (Cambridge: University Press, 1946) وانظر مجلة إيزيس مجلد ص ٣٩ ص ١٠٧ (١٩٤٨)

(٣٢) *Doxa alethes* يعنى أن تكون آراؤهم طيبة أى أن يكونوا متمسكين بالدين سديلى التفكير ، وهذا في بساطة مظهر عميق من مظاهر الطاعة .

(٣٣) قارن قصة باسيون ص ٣٩٥ (نص إنجليزي) من العبد الذى أصبح أغنى رجل في أثينا ، والذى حصل بفضل خدماته الجلييلة على ألقاب عليا .

(٣٤) لعل من الأفضل أن نقول إن أفلاطون كان أول باحث نظرى في تحسين النسل ، فإن وجهات النظر التناسلية قد أبان عنها قبل ذلك بقرنين من الزمان الشاعر الأرسطقراطي ثيوجنيس Theognis Fl. 544-541 . - راجع م . ف . « أشلى مونتاجو Achley Montague في كتابه « ثيوجنيس وداروين والانتخاب الطبيعي » *Theognis, Darwin & Natural Selection* مجلة إيزيس مجلد ٣٧ ص ٢٤ - ٢٦ (١٩٤٧) .

(٣٥) كان يراد بالرجل الموسيقي *musicos aner* ما نسميه بصاحب النزعة الإنسانية ، ولكن هذا الإنسان قد تضاعف في نظر أفلاطون وقل شأنه ، لأن حرية تفكيره كان مضيقاً عليها كثيراً .

(٣٦) الجمهورية ٣٩٨ أ .

(٣٧) Aristotle, Politics, 1265a, 14

(٣٨) في القوانين ٣٣٧ يحدد أفلاطون عدد المواطنين (مثلا كل الصفوة) بخمسة آلاف

وأربعين نسمة ( لا ٥٠٠٠٠ فحسب ) وكان لا بد أن يبقى العدد ثابتاً ، وينجب من الأطفال بقدر يكفى لحفظ عدد السكان ثابتاً ، هذا الحد وضعه وهم من أوهام أفلاطون العددية :  $21 \times 5040 = 105840$  ، وله تقسيمات تبلغ تسعة وخمسين قسماً ، وتشمل كل الأعداد من ١ إلى ١٢ مع استثناء ١١ الذى لا يقبل العدد ٥٠٤٠ القسمة عليه ( القوانين ٧٣٨ و ٧٧١ ) . ولو أدرك أفلاطون أن  $v = 5040$  ! لمضى فى حماسه لهذا العدد إلى أبعد من ذلك .

( ٣٩ ) Laws, 694-698

( ٤٠ ) قارن آراء « والتر براد فورد كانون » Walter Bradford Cannon ( ١٨٧١-١٩٤٥ ) فى ضبط الظروف الاجتماعية ضبطاً هوموستاتيكياً Homeostatic . راجع مجلة إيزيس مجلد ٣٦ ص ٢٦٠ ( ١٩٤٦ ) . وكانت هذه الآراء تعجب أفلاطون بطريقة ما ، لأنها أقرت وجود تشابه جديد بين علم وظائف الأعضاء وعلم السياسة ، بين العالم الأصغر ( الإنسان ) والعالم الأكبر ( الكون ) . ( Homeostatic : لفظه اصطلاحية تدل على خاصية الجسم فى أن يحتفظ نسبياً بأوضاع ثابتة ، مع تغير الظروف الاجتماعية والمناخية المحيطة به . ولعل من الخير أن تعرب تعريب الديناميكية والاستاتيكية ) . ( المترجم )

( ٤١ ) وقد تكررت الفكرة نفسها فى الجمهورية ست مرات Republic, 473

( ٤٢ ) القوانين ٩٤٢ . هذه الفقرة مأخوذة من الترجمة الإنجليزية الدقيقة التى قام بها بنيامين جوويت ( ١٨١٧ - ١٨٩٣ ) رئيس كلية باليول Balliol ( بجامعة أكسفورد ) وهى الترجمة التى نشير إليها فيما بعد بترجمة جوويت . وتوجد هذه الفقرة فى طبعة « ستيفانوس » Stephanus ( ٣ أجزاء باريس - هنرى استين . H. Estienne ١٥٧٨ ) ج ٢ ص ٩٤٢ - وفى جوويت ( ثالث طبعة ج ٤ ص ٣٣ ) .

( ٤٣ ) Popper, Open Society ج ١ فصل سابع ، وقد أوضح جون ستوارت مل J. S. Mill فى كتابه : System of Logic ( ١٨٤٣ ) ضرورة وجود زواجر دستورية . وقال فى كتابه « خضوع النساء » Subjection of Women ( ١٨٦٩ ) : « من الذى يشك فى إمكان تحقيق خير عظيم وسعادة عظيمة وألفة طيبة فى ظل الحكم الاستبدادى الذى يتولاه رجل خير صالح . ولكن القوانين والنظم تفتقر أثناء ذلك إلى أن تتكيف وتتلاءم ، لا مع الحاكم الخير ، بل مع الحاكم السيئ » . ويستفسر مل ويتساءل « من الذى يساوره الشك فى ضرورة ذلك ؟ » ، ويكرر هذا « بوبر » مع إيراد سبب معقول .

( ٤٤ ) القوانين د ٦٣٤ .

( ٤٥ ) Waldo Frank, Dawn in Russia ( New York, Scribner, 1932, p. 163

Republic, 414b, 389 b ( ٤٦ )

Popper, The Open Society, I, p. 171 ( ٤٧ )

John Bagnell (1861 - 1927), History. of the Freedom of Thought ( New ( ٤٨ )

York, 1913) p. 35.

(٤٩) انظر في تفصيل هذا كتاب « يوبر » (السالف الذكر) ص ٨٧ .

Laws, 942, quoted before (٥٠)

(٥١) Laws, 739 طبعة Jowett ج ٥ ص ١٢١ . وانظر أيضاً Republic, 462 وفي غير هذا

من فقرات يمكن معرفتها من فهرس « جويت » .

(٥٢) الكيداماس من أهل إلايا في « ايوليا » . وقد رفض الرق باعتباره منافياً للقانون الطبيعي ويرى « ليقوفرون » أن القانون ليس إلا مجرد اصطلاح تعارف عليه الناس ، وهو كفالة العدالة بين الناس ، وليس في مقدوره أن يجعل الناس « أخياراً » - راجع أرسطو في كتاب : Politics 1280B 10 أما أنتستانس وهو من . أثينا ، وصاحب مذهب الكلية فقد كان تلميذا لسقراط وحضرموته . وقد علم في مدرسة « كينوسارجس » Cynosarges وهو ملعب يقع خارج أسوار أثينا يستخدمه الذين لم ينحدروا عن أصل أثيني نقي ، وهو نفسه لم يكن أثينياً خالصاً ، إذ كانت أمه من أهل طراقيا . وقد مات في أثينا وهو في سن السبعين .

(٥٣) رب معترض يقول : « كيف تعرف ذلك ؟ فنجيب بأن سقراط الحقيقي هو الذي يتفق عليه أفلاطون وكسينوفون Xenophon ، والذي كشفت عن عبقريته المحاورات السقراطية الأولى التي كتبها أفلاطون .

J. Benda, Trahison des clercs (Paris, 1927) (٥٤)

Popper, The Open Society, vol. I, p. 137 (٥٥)

(٥٦) توجد طبعات لا تحصى لهذه المحاورة . وفي وسع قراء الإنجليزية أن يستخدموا طبعة « جويت » ج ٣ أو طبعة بيوري R. G. Bury (اليونانية - الإنجليزية) في طبعة لويب Loeb : أفلاطون ج ٧ (١٩٢٩) ص ٣ - ٢٥٣ - أو يقرؤها في الترجمة التي قام بها فرنسيس ماكدونالد Francis Macdonald (١٨٧٤ - ١٩٤٣) وقرنها بالتعليق الشائع المعروف . وهي ٣٩٤ صفحة - لندن Kegan Paul (١٩٣٧) - ( راجع مجلة إيزيس مجلد ٣٤ ص ٢٣٩ (١٩٤٢) - ٤٣) وطبعة كورنفورد Cornford هي أنسب طبعة يمكن لمؤرخ العلم الرجوع إليها :

Heinrich Otto Schroder, Galeni in Platonis Timaeum Commentarii fragmenta . Appendix 11. Mosis Maimonidas Aphorismorum praefatio et excerpta a Paulo Kahle tractata (140 pp. ; Corpus medicorum graecorum, Suppl. 1; Leipzig, 1934)

(٥٧) حاول بعضهم أن يثبت أن تيمائوس اللوكريسي (Loeri Epizephyrii) في الجنوب الغربي من بروثيم بايطاليا هو فيثاغوري قديم - كان يمكن أن يكون معلم أفلاطون - وهو الذي كتب باللهجة الدورية بحثاً في العالم والطبيعة Peri psychas Cosmu cai physios وقد حسب الأفلاطونيون المحدثون له حقاً ، ولكن تبين أنه موضوع ، لم يوجد قبل القرن الأول المسيحي ، وأنه ملخص متأخر لتيمائوس ، لا أقدم منه مجال ما .

(٥٨) (تيمائوس ٢٠ هـ) (Timaios 20E) الأسطورة تلقاها صولون عن الكاهن الشيخ في صالحجر Sais (وهي في دلتا النيل) وقد أشرنا من قبل إلى الحديث الذي دار بينهما .

Timaios 42 B (٥٩)

Republic 546 B, Timaios, 39 D (٦٠)

(٦١) لعل فكرة السنة الكبرى والعالم الأصغر - وهي تقابل فكرة العالم الأكبر - مأخوذة عن أصل شرقى بابل .

Timaios, 31 B ff. (٦٢)

(٦٣) إن المقارنة المضحكة بين العناصر والأجسام الصلبة الأفلاطونية لم يترجمها « تشالسيديوس » وقد توقفت ترجمته وتعليقاته فجأة .

(٦٤) طبعة « ليتريه » Littre لهذا البحث Peri cardies ج ٩ ص ٧٦ - ٩٣ ناقصة

جداً وأفضل منها طبعة « فردريك كارل أنجر » ( Utrecht thesis 1923 ) Friedrich Karl Ungar و « ج . ليوك » . G. Leboucq في كتابه تشريح قديم للقلب الإنسانى - فيلستيون « اللوكروس » و « تيمائوس » . Une anatomie antique du coeur humain, Philistion de Locres et le Timée.

(٦٥) انظر في دورة الماء في الأرض (perirrhoe) محاورة (Phaidon, 111 D - E)

Timaios, 81 (٦٦)

Timaios, 82-84 (٦٧)

(٦٨) Dhirendra Nath Ray مبدأ Tridosha في Ayurveda (٣٧٦ صفحة كلكتا :

Bancrjee ١٩٣٧) ( راجع مجلة إيزيس مجلد ٣٤ صفحة ١٧٤ - ١٧٧ ( ١٩٤٢ - ٤٣ ) وكذلك جين فيليوزات في كتابه « النظرية القديمة في الطب الهندى »

Filliozat, La doctrine classique de la medicine indienne (Paris: Imprimerie nationale, 1949).

( راجع مجلة إيزيس مجلد ٤٢ ص ٣٥٣ ( ١٩٥١ )

Timaios, 24 E (٦٩)

(٧٠) Origin & Growth of Plato's Logic مع وصف لأسلوب أفلاطون وتاريخ آثاره

( ٥٦٥ صفحة لندن ١٨٩٧ ) وانظر ٤٨٤ ، وفي هذا الكتاب محاولة أريد بها وضع آثار أفلاطون في ترتيبها الزمني على أساس بحث منهجى في خمسمائة ميمز يميز أسلوبه .

Timaios, 91 C (٧١)

Timaios, 56 D (٧٢)

(٧٣) فليوس في الشمال الشرقى لجزيرة البيلوبونيز Peloponnesos ( بلاد المورة الآن ) . درس طيمون الفلسفة في المدرسة التي أنشأها أوقليدس الميفارى . وبعد سنين قضاها ضالاً ، أنفق بقية حياته في أثينا حيث مات شيخاً طاعناً في السن . وله أشعار ساخرة لاذعة مرة Silli (Silloi) ومن أجل هذا سميت بأشعار الهجاء .

(٧٤) مما لا يخلو من الدلالة أن الأثرين الوحيدين اللذين أراد بروكلس أن يحتفظ بهما كان

كلاهما شرقياً ، والواقع أن في محاورة تيمائوس علماً شرقياً أكثر مما نلاحظه من هذا العلم في الحكمة اليونانية .

(٧٥) وأدق من هذا أن نقول إن ترجمة تشالسيديوس الناقصة لمحاورة تيمائوس قد ظلت النص الأفلاطوني الوحيد المتداول في اللاتينية حتى ترجمت محاورتا « مينون » Menon و « فيدون » Phaidon حول عام ١١٥٦ ، وفي طبعة هنري اتين H. Etienne. تشغل « تيمائوس » من ص ١٧ إلى ٩٢ في الجزء الثالث ، وقد وقفت ترجمة « تشالسيديوس » وتعليقاته عند B 53 .

(٧٦) انظر : القسم الأخير من هذا الفصل ، وهو يلخص أثر « تيمائوس » في العصور الوسطى .

Laws 782 D (٧٧)

(٧٨) تيمائوس ٤٢ .

(٧٩) تيمائوس ٩١ طبعة لويب ج ٧ ص ٢٤٩ .

(٨٠) تيمائوس ٤٢ ب لويب ج ٧ ص ٩١ وهو يعرض آراء مشابهة لهذه الآراء تتصل بتحول الرجال إلى نساء أو إلى حيوانات ، يعرضها أفلاطون في نهاية تيمائوس (٩١ - ٩٢) .

Symposium 211 B (٨١)

(٨٢) Memorabilia 2,2 يوبخ سقراط ابنه الأكبر « لامبروقلس » Lamprocles لتجاوزه حده مع أمه ولكونه كان معها كئوداً ناكراً للجميل .

(٨٣) قيل أن يتجرع سقراط الشويكران دخلت عليه زوجته ( كزانتب ) « وأخذت تولول جهاراً وتردد الكلام الذي يجري على ألسنة النساء دوماً : « آه يا سقراط ، هذه آخر مرة يتحدث إليك فيها أصدقاؤك أو تتحدث أنت فيها إليهم » . فنظر سقراط إلى « أقريطون » وقال له : « يا أقريطون : ليرجمها أحد إلى البيت » فأخذها فتحاها بعض رجال أقريطون بعيداً وهي تولول وتضرب صدرها « (فيدون ٦٠) ثم خاض سقراط في حديث آخر . وقد روينا القصة كلها من قبل ، وكان طرد سقراط لزوجته المسكينة في هذا الوصف فظاً قاسياً بصورة لا يمكن تصديقها .

Laws, 636 G, 836 G (٨٤)

(٨٥) وصار هذا الاسم علماً على العلمان الذين يحترفون الدعارة ، ويظهر أن الكلمة استعملت كثيراً في زمن الرومان ولذلك اتخذت شكلاً لاتينياً وانتقلت إلى بعض اللغات الأوروبية .

(٨٦) في عام ١٩٥٠ ألح الساسة الذين أرادوا أن يشوهوا سمعة وزارة الخارجية في الولايات المتحدة U. S. Department of State إلى أن كثيراً من مرطفي هذه الوزارة كانوا شيوعيين أو مصابين بالشدوذ الجنسي ، فهل يمكن القول بأن هؤلاء الموظفين كانوا من أتباع أفلاطون المهذبين .

(٨٧) ٣ أجزاء - لندن ١٨٦٥ .

(٨٨) كثيراً ما نقتبس هذه الجملة ، ولكن الذين يعرفون أصلها قليلاً ، لقد أخذها من حياة أرسطو ، « أمونيوس اسكاس » Amonios Saccas ( في النصف الأول من القرن الثالث ) وفتراها باليونانية واللاتينية « وسترمان » Ant. Westermann في كتاب « ديوجين اللايرقي » : حياة الفلاسفة Diogenis Laertii vitae philosophorum (Paris : Didot, 1862) القسم الثاني

ج ١٠٢ - وقد قالها «أمونيوس» في سقراط لا في أفلاطون ، ولكن الذين يقتبسونها - وهي تقتبس كثيراً - يذكرون فيها أفلاطون .

(٨٩) وضع «جالينوس» شرحين لمحاورة تيمائوس ، ضاع الثاني منهما في نصه اليوناني ولكنه بقى في نصه العربي ، وقد نشره حديثاً «بول كراوس» Paul Craus و «ريتشارد فالزر» Richard Walzer  
Galen Compendium Timaei Platonis aliorumque dialogorum synopsis quae extant  
fragmenta (130 pp. + 67 pp.

راجع مجلة إيزيس مجلد ٤٣ ص ٥٧ (عام ١٩٥٢) .

(٩٠) رقم ١٢٢ في طبعة «برجستراسر» Bergstrasser لكتالوج ترجمات «حنين» (١٩٢٥) (راجع مجلة إيزيس مجلد ٨ ص ٧٠١) (١٩٢٦) .

(٩١) انظر ترجمة «كارا دي فو» Carra de Vaux للمسمى: Le Livre de l'avertissement  
باريس (١٨٩٧) ص ٢٢٣ ومقالة عن أفلاطون Aflatun في دائرة المعارف الإسلامية Encyclopedia of Islam ج ١ (١٩٠٨) ص ١٧٣ - ١٧٥ .

(٩٢) يوجد مخطوط لنسخة «تيمائوس» العربية في مكتبة أيا صوفيا Aya Sofia تحت رقم ٢٤١٠ - وهذا النص - فيما وصلى إليه علمي - لم يطبع بعد .

(٩٣) هكذا يقول «كارا دي فو» Carra de Vaux في دائرة المعارف الإسلامية Encyclopedia of Islam ج ١ ص ١٧٤ ولم يسلم بهذا Giuseppe Gabrieli في بحث له عن «حنين بن إسحاق» بمجلة إيزيس : مجلد ٦ ص ٢٨٢ - ٢٩٢ (عام ١٩٢٤) .